السيرة العطرة لبعض مشايخ الأزهر

إعداد :

خالد محيي الدين الحليبي :

((أولا))

أول 15 شيخ حكموا الأزهر الشريف

[فى ذكرى بناء الأزهر .. تعرف على أول 15 إماما للأزهر الشريف.. صور

كتب أحمد منصور :

فى مثل هذا اليوم 4 أبريل من عام 970م، أمر جوهر الصقلى ببناء مسجد كبير للمدينة الجديدة، وقد تم الانتهاء من المسجد في عام 972، وعقدت أول صلاة جمعة في 22 يونيو 972 خلال شهر رمضان، ليعد أول جامع أنشى فى القاهرة وأقدم أثر فاطمى قائم بمصر، وسرعان ما أصبح الأزهر أهم المساجد فى مصر ومركزًا للتعليم فى العالم الإسلامى، لا يزال الأزهر مؤسسة لها تأثير عميق فى المجتمع المصرى والعربى، خلال السطور المقبلة نستعرض أول 15 أمام أكبر حاكموا الأزهر الشريف منذ بنائه.

محمد الخراشى مالكى

محمد الخراشى مالكى

الإمام الشيخ أبو عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن علي الخرشي المالكى "1010 هـ 1601م"، أول إمام للجامع الأزهر الشريف وأحد كبار العلماء المسلمين، فى الفترة (1090 هـ - 1101 هـ).

تلقى الشيخ تعليمه على يد نخبة من العلماء والأعلام، مثل والده الشيخ جمال الدين عبد الله بن على الخرشي الذى غرس فيه حبًا للعلم وتطلعًا للمعرفة، كما تلقى العلم على يد الشيخ العلامة إبراهيم اللقانى.

إبراهيم البرماوي

إبراهيم البرماوي

الشيخ إبراهيم بن محمد بن شهاب الدين بن خالد برهان الدين البرماوى، هو ثانى شيوخ الجامع الأزهر، إذ تولى المشيخة بين عامى "1101 هـ - 1106 هـ"، التحق بالأزهر الشريف ليدرس علوم اللغة العربية والشريعة على أيدى كبار علماء عصره كالشيخ الشمس الشوبرى والمزاحى والبابلى والشبراملسى.

محمد النشرتى مالكى

محمد النشرتي مالكي

الإمام محمد النشرتى المالكى، الشيخ الثالث للأزهر الشريف، وأحد أعلام الفقه المالكى، التحق بالأزهر، وتفوق فى دراسته، ليتصدى فيما بعد للتدريس وتصدر حلقات الدرس حتى اختير شيخاً للأزهر، فى الفترة من "1106 هـ - 1120 هـ"، وتزعم النشرتى علماء المالكية فى عصره، ولم يتوقف عن التدريس حتى بعد أن تولى مشيخة الأزهر، التى ظل فيها أربعة عشر عاماً لم يتوقف خلالها عن التدريس.

عبد الباقى القلينى

عبد الباقى القلينى

الإمام الشيخ عبد الباقى القلينى هو رابع شيوخ الأزهر الشريف، والذى تولى فى "1120 هـ"، وكان من شيوخه الشيخ البرماوى والشيخ النشرتى "وكلاهما سبقه فى مشيخة الأزهر".

محمد شنن

محمد شنن

الإمام محمد شنن المالكى "1056 هـ - 1133 هـ"، خامس شيوخ الجامع الأزهر، وفى أيام مشيخة الشيخ شنن، جرى ترميم الجامع الأزهر، بعد أن أصاب التصدع بعض جدرانه، واعتمد السلطان العثمانى أحمد الثالث، بناء على طلب الشيخ شنن، خمسين كيساً ديوانياً من أموال الخزانة للإنفاق على ذلك الترميم.

إبراهيم موسى الفيومى

إبراهيم موسى الفيومي

الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومى المالكى "1062 هـ – 1137 هـ"، سادس شيوخ الجامع الأزهر، فى الفترة "1133هـ - 1137 هـ"، انتقل الشيخ الفيومى من موطنه فى الفيوم إلى القاهرة فى مطلع شبابه للدراسة فى الأزهر، فتلقى العلم على عدد من كبار شيوخ عصره منهم الشيخ محمد الخراشى، أول شيوخ الجامع الأزهر.

عبد الله الشبراوى

عبد الله الشبراوى

الإمام الشيخ عبد الله الشبراوى "1091 هـ ـ 1171 هـ"، الإمام السابع للجامع الأزهر الشريف، فى الفترة "1137 هـ - 1171 هـ"، جمع الشبراوى بين عدة مواهب، فكان شاعراً متميزاً وكاتباً مرموقاً بمقاييس عصره، كما كان فقيهاً متعمقاً فى أصول الفقه والحديث وعلم الكلام، يصفه الجبرتي فى ترجمته بأنه "الإمام الفقيه المحدث الأصولى المتكلم الماهر الشاعر الأديب".

محمد سالم الحفنى

محمد سالم الحفنى

الإمام الشيخ نجم الدين أبو المكارم محمد بن سالم "1100 هـ - 1181 هـ"، ثامن شيوخ الأزهر الشريف فى الفترة "1171 هـ ـ 1181 هـ"، نشأ بقريته وحفظ بها القرآن الكريم حتى سورة الشعراء، أرسله أبيه إلى الأزهر وهو فى الرابعة عشرة من عمره، فأتم فيه حفظ القرآن.

عبد الرؤوف السجيني

عبد الرؤوف السجيني

عبد الرؤف السجينى الشافعى، تاسع شيوخ الأزهر الشريف فى الفترة "1181هـ - 1182 هـ"، ويلقب بالسجينى نسبة إلى بلدته قرية سجين الكوم بمحافظة الغربية وكنيته أبو الجود، وقد لقبه الجبرتى بكتابه عجائب الآثار فى التراجم والأخبار بالإمام العلامة الفقيه النبيه شيخ الإسلام وعمدة الأنام.

أحمد الدمنهورى

أحمد الدمنهورى

أحمد عبد المنعم بن صيام الدمنهورى، وهو العاشر فى الترتيب لمشيخة الأزهر الشريف، فى الفترة "1182هـ - 1190هـ"، وكان عالما فى الطب علاوة على علوم الدين، قال عنه حسن الجبرتى: "هابته الأمراء، لكونه كان قوالا للحق، أمارًا بالمعروف، سمحًا بما عنده من الدنيا".

أحمد بن موسى العروسى

أحمد بن موسى العروسى

الإمام الشيخ أحمد بن موسى بن داود أبو الصلاح العروسى "1133 هـ - 1218 هـ"، هو الإمام الحادى عشر لشيوخ الجامع الأزهر، فى الفترة "1192 هـ - 1208 هـ"، تلقى العلم على كبار الشيوخ، فسمع صحيح البخارى من الشيخ أحمد الملوى بمسجد الحسين ودرس تفسير الجلالين والبيضاوى على يد الشيخ عبد الله الشبراوى.

عبد الله الشرقاوى

عبد الله الشرقاوي

عبد الله بن حجازى بن إبراهيم الشرقاوى "1150-1227 هـ"، الثانى عشر لشيوخ الأزهر الشريف فى الفترة "1208هـ - 1227 هـ"، أحد مشايخ الأزهر الشريف، كانت له مواقف شجاعة أثناء ثورة أهل بلبيس فى يوليو 1795، وخلال الحملة الفرنسية على مصر، وقام محمد على باشا بوضع الشيخ الشرقاوى تحت الإقامة الجبرية فى محاولة منه للقضاء على نفوذ علماء الأزهر.

محمد الشنوانى

محمد الشنوانى

الإمام الشيخ محمد بن على بن منصور الشنوانى الشافعى توفى فى 1818م، هو شيخ الأزهر الثالث عشر، فى الفترة "1227 هـ - 1233 هـ"، تلقى علومه على يد كثير من أعلام عصره، يقول عنه "الجبرتى": هو شيخ الإسلام الفقيه العلامة والنحوى المعقولى، كان مهذَب النفس متواضعًا مع الانكسار والبشاشة لكل أحد من الناس".

محمد بن أحمد العروسى

محمد بن أحمد العروسي

محمد بن أحمد العروسى "1818 – 1829"، الشيخ الرابع عشر للأزهر فى الفترة "1233 هـ - 1245 هـ"، أخذ مكان والده فى التدريس للطلبة من الصباح إلى المساء وهذا ما شغله عن التصنيف فلم تؤثر عنه إلا إجازة واحدة، أطفأ بحسن تأنيه للأمور

فتنة طائفية كادت تشتعل بسبب فتوى تحرم أكل ذبائح أهل الكتاب، جمع على محبته قلوب الوالى والأمراء والشعب.

أحمد بن على الدمهوجى

أحمد بن علي الدمهوجي

أحمد زيد على بن أحمد الدمهوجى "1761م- 1831م"، هو الشيخ الخامس عشر للأزهر، ينسب إلى قرية الدمهوج بمحافظة المنوفية، ولي المشيخة فى الفترة "1245 هـ - 1246 هـ"، وبقى بها ستة أشهر حتى رحل، كان منقطعاً للتدريس والعبادة. - **اليوم السابع 4-4-2019] .**

((ثانياً))

حياة بعض القامات

الأزهرية ذات المآثر طيبة والسير العطرة

(1)

الشيخ الخراشي

تولى الأزهر سنة 1679

[محمد الخراشي أول من تولى مشيخة الأزهر.. واستنجد الناس باسمه وقت الأزمات والكوارث

الجمعة 26-05-2017 :

كتب: نيفين العيادي – المصري اليوم

«الإمامة العلامة، والحبر الفهامة، شيخ الإسلام والسلمين، ووارث علوم سيد المرسلين».. بهذه الكلمات تحدث عبدالرحمن الجبرتي في كتابه «عجائب الآثار في التراجم» عن محمد بن عبدالله الخراشي، أول من تولى مشيخة الأزهر عام 1679.

وظهر هذا المنصب عقب مرور 741 عامًا على إنشاء الجامع الأزهر بسبب زيادة أعباء الجامع الأزهر وأموره لكثرة المترددين عليه من الطلبة والدارسين، وعدم قدرة الحاكم على إدارة أموره العامة، ويعد شيخ الأزهر- بحسب الموقع الرسمي للأزهر على الإنترنت- الإمام الأكبر لجميع علماء مصر، والمشرف الأعلى على سيرتهم الملائمة لشرف العلم والدين وعلى حفظة القرآن الكريم سواء كانوا من المنتمين إلى الأزهر وروافده أم من غير المنتمين إليه، وهو المنفذ الفعلي العام لجميع القوانين واللوائح والقرارات الخاصة بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية.

«الخراشي» ولد بمحافظة البحيرة، وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالأزهر الشريف، وتتلمذ على يد كبار العلماء منهم على الأجهورى، والشيخ إبراهيم اللقانى، والشيخ يوسف الفيشى، واختار المذهب المالكي، واشتغل بالتدريس بالجامع الأزهر والمدرسة الآقبغاوية.

عرف عن الإمام الراحل أنه «حسن السمعة، يهابه كل من يراه فلم تكن له شفاعة أو يهمل له رجاء، وفتح أبوابه لكل مظلوم من الرجال والنساء، وأصبح يضرب به المثل في الشجاعة وكرم النفس حتى أثر عنه عندما يصاب الناس بكارثة أو تلم بهم لامة من الولاة وغيرهم ينادون بلفظ كلمة خراشي دليل على طلب النجدة والاستغاثة ورفع الظلم عنهم»، حسبما جاء في كتاب «الأزهر في ألف عام» للمؤلفين محمد عبدالمنعم خفاجي، وعلي على صبح.

تتلمذ على يد الخراشي عدد من المصريين وذاع صيته في الشام والحجاز واليمن، وألف عدد من الكتب منها الشرح الكبير على متن خليل في فقه المالكية 8 مجلدات، رسالة في البسملة مؤلفة من أربعين كراسة في شرح قوله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم)، الأنوار القدسية في الفرائد الخرشية، وتولى مشيخة الأزهر في سن الـ78 عامًا واستمر في منصبه إلى أن وفاته المنية عام 1690.

المصري اليوم 26-5-2017]

(2)
الشيخ سليم البشري
تولى المشيخة سنة 1899

سليم البشري: كان مولعًا بشعر شوقي.. وتولى المشيخة مرتان.. وقدم استقالته احتجاجا على تدخل الخديوي عباس

الأربعاء 31-05-2017 – المصري اليوم

كتب: نيفين العيادي |

الشيخ سليم البشريتصوير : آخرون

سليم بن فراج بن السيد سليم بن أبي فراج البشري، أحد رواد النهضة والتجديد في الأزهر، تولى مشيخة الأزهر مرتان الأولى استمر فيها لمدة 4 سنوات وقدم استقالته بسبب تدخل الحكام في شؤون الأزهر، والثانية استمر في المنصب إلى أن وفاته المنية.

لقب بـ«البشري» نسبة إلى محلة بشر، إحدى قرى شبراخيت في البحيرة، وولد بها عام 1832، حفظ القرآن الكريم، ودرس في الأزهر الشريف ونبغ في علوم كثيرة لاسيما علوم الحديث، اشتغل بالتدريس في الجامع الأزهر، وعين شيخًا لمسجد السيدة زينب.

الشيخ البشري كان مولعًا بشعر أمير الشعراء، أحمد شوقي، حيث قام بشرح قصيدة شوقي نهج البردة وعلق عليها ونشرها في كتاب أُطلق عليه «وضح النهج»، وله عدد من المؤلفات منها حاشية تحفة الطلاب على شرح رسالة الآداب، حاشية على رسالة الشيخ عليش في التوحيد، المقامات السنية في الرَّد على القادح في البعثة النبوية، وعقود الجمان في عقائد أهل الإيمان.

الإمام الراحل اختير عضوًا بمجلس الأزهر في عهد الشيخ حسونة النواوي، ورئيسًا للجنة اختيار الكتب التي تدرس بالأزهر الشريف، وتولى مشيخة الأزهر عام 1899 واستمر في المنصب لمدة 4 أعوام، وبسبب رفض الخديوي عباس قرار تعيين أحمد المنصوري شيخًا لأحد أروقة الأزهر قدم استقالته قائلاً: «إن كان الأمر لكم في الأزهر دوني فاعزلوه، وإن كان الأمر لي دونكم فهذا الذي اخترته، ولن أحيد عنه»، الأمر الذي أثار غضب الخديو فأرسل إليه قائلاً: «إن تشبثك برأيك قد يضرك في منصبك»، فرد «البشري»: «إن رأيي لي ومنصبي لهم، ولن أضحي لهم بما يدوم في سبيل ما يزول»، وبالفعل قبل الخديوي استقالته.

وعقب 6 سنوات من تقديم استقالته، لجأ ولاة الأمر إلى البشري بعد أن ساءت أوضاع الأزهر، واشترط للعودة –حسبما ذكر الموقع الرسمي للأزهر على الإنترنت- أن «تقوم الحكومة بإكرام العلماء والطلبة والتوسع في أجورهم ورد حقوقهم إليهم، فتقرر زيادة المرتبات للعلماء لعشرة آلاف جنيه سنويًا أي ما يساوي اليوم عشرة مليارات جنيه توزع بالتساوي عليهم».

وحصل البشري على النيشان المجيدي الأول، والوشاح الأكبر من وسام النيل، ورحل عن عالمنا 1917 عن عمر يناهز الـ85 عاما. – المصري اليوم]

(3)

<u>الشيخ</u>

<u>مصطفى المراغي</u>

<u>باحث / خالد محيي الدين الحليبي</u>

الشيخ المراغي رحمه الله بحق يعتبر من رواد المقاومة وصاحب المواقف البطولية في مواجهة الإستعمار وهنا بينا في هذا البحث حياته ونشأته ومواقفه مع الإستعمار والملك والمفاومة الشعبية بتأسيسه جمعية لمقاومة التنصير والتبشير في ديار المسلمين كما أنه بعد استقالته من الأزهر لرفض الملك بعض الإصلاحات واشتغاله بالقضاء أكسبه العدالة القائمة على سماع شهود النفي وكذلك شهود الإثبات مما أكسبه المصداقية في اتخاذا القرار وعدم تصديق الكذب الإستراتيجي الذي يروجه الوهابية حول الصوفية والشيعة مما مهد له القاعدة للوصول إلى قواعد الوحدة بين المسلمين الشيعة والسنة فكان من رواد التقريب زهنا قد قسمنا البحث إلى محورين الأول أولاً حياته وثانيا الشيخ المراغي والحياة السياسية المصرية والعربية وأما المحور الثاني : مواقفه الوطنية المشرفة بين مصر والسودان راجين من الله تعالى أن يرجمه وينزله فسيح جناته وأن يكثر من أمثاله لنصرة الحق والمظلومين المستضعفين في العالم .

خالد محيي الدين الحليبي

المحور الأول

أولاً

حياته

هو **محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي** نسبة إلى مراغة، مركز جرجا، محافظة سوهاج بصعيد مصر. ولد في 7 ربيع الآخر سنة 1298 هـ 9 مارس سنة 1881م.

وجهه والده..الذي كان على قدر من العلم و الثقافة.. إلى حفظ القرآن.. ولقنه نصيبا من المعارف العامة و لنجابته بعث به والده لطلب العلم في الأزهر -بالقاهرة- فتلقى العلم علي كوكبة من علمائه وتأثر بعلماء التيار المجدد-ومنهم شيخه الشاب علي الصالحي- الذي درس المراغي عليه علوم العربية،وتأثر بأسلوبه في البيان و التعبير.. .,

اتصل بالشيخ محمد عبده و كانت النقلة النوعية التي حددت مكانته العلمية،ومستقبله في مدرسة الإحياء و التجديد والإصلاح فلقد تتلمذ على محاضرات الأستاذ الإمام في تفسير القرآن، وفي التوحيد و تنقية العقائد الإسلامية من "شغب" المتكلمين القدماء، وفي البلاغة التي وصلت العربية الحديثة بعصر الإزدهار، متخطية عصور الجمود والركاكة و الانحطاط.

[**....** اتصل الشيخ المراغي بالإمام محمد عبده، وانتفع بدروسه في التاريخ والاجتماع والسياسة، وتوثقت صلته به، وسار على نهجه في الإصلاح والتجديد فيما بعد. تخرج الإمام المراغي من الأزهر بعد حصوله على الشهادة العالمية عام 1322هـ/ 1904م، وكان ترتيبه الأول على زملائه، وكان عمره آنذاك ثلاثة وعشرين عامًا ، وهي سن مبكرة بالنسبة لعلماء الأزهر في ذلك الوقت. وفي سنة التخرج اختاره أستاذه الشيخ محمد عبده ليعمل قاضيًا في مدينة دنقلة بالسودان ، واستمر الشيخ المراغي في وظيفته تلك لمدة ثلاث سنوات فقط حتى عام 1907، . (1)] .

[..... استقال المراغي من منصبه لخلاف بينه وبين قاضي القضاة والسكرتير القضائي الإنجليزي حول التميز بين القضاة الإنجليز والقضاة المصريين وفي سنة 1908طلب ((سلاطين باشا)) وكيل حكومة السودان بمصر من المراغي أن يعود للسودان قاضي للقضاة ، واشترط المراغي أن يصدر المرسوم بتعيينه من الخديوي وليس من الإنجليز وكان كل هم المراغي في الإصلاح هو إصلاح القضاء والقوانين والتشريعات , .

وكانت له بطولات في الثورات التي مرت مصر بها وقاد ثورة 1919في السودان وكان عنيدا مع الإنجليز حتى قال عنه المستر (دن) إن الشيخ المراغي يُعد من دهاة العالم وأيضا كتبت إحدى الصحف الإنجليزية عن المراغي قائلة ((ابعدوا هذا الرجل فإنه أخطر على بلادنا من ويلات الحرب))

وفي إحدى الحفلات في مصر الرسمية وبحضور الملك فاروق ، وجد الشيخ المراغي أن مقاعد العلماء قد حُددت خلف مقاعد أعضاء مجلس النواب ،فأخبر الملك بأنه لن يبقى إلا إذا لم يتم تعديل هذه المقاعد ، وفعلا نزل الملك فاروق على رغبته وعُدلت المقاعد في المجلس .. (1)] .

[**شهادات بفضله** :

قال عنه د. محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر - بالرغم من أن حياة الشيخ المراغي كانت قصيرة، إلا أنها كانت طويلة وكبيرة بالنسبة للأعمال التي قام بها في خدمة الأزهر من إصدار قوانين، وتطوير للمناهج، وإنشاء كليات اللغة العربية، وأصول الدين، والشريعة والقانون.

ولم يكن الإمام المراغي فلتة في عائلة، بل أحد أعضاء عائلة كلها علماء أثروا المكتبة الإسلامية بالكثير من المؤلفات والتراجم والتحقيق لكتب التراث.

وقالت عنه د. نعمات أحمد فؤاد: جمع الشيخ المراغي بين علوم الدين والعلوم الكونية كما أقر الإعجاز العلمي في القرآن بضوابطه ، وكذلك الأدب كما كتب الشعر والنثر. كما نادى بدراسة الأديان دراسة مقارنة ضمن مناهج الأزهر لتتجلى فيها الصورة

المشرفة للإسلام، كما أكد أن التقدم العلمي والفلسفي ليسا بقادرين على منع الحروب وأسبابها، فقد شهدت الأيام أن الحروب تزداد وحشية وقسوة بتقدم العلم، وأن الإسلام - وحده القادر على وقف ومنع هذه الحروب.
وقال عنه : د. محمد نايل - عميد كلية اللغة العربية السابق، ورفيق الإمام المراغي (رحمه الله) - إن الإمام المراغي كان ثورة لا يهاب أحدًا في سبيل الحق. (3)] .

وأما الأستاذ عبد القادر خليف عنه (رحمة الله عليه) : كان للإمام المراغي مواقف تاريخية مشرفة تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أنه عالم رباني لا يخاف في الله لومة لائم. (4)

ثانياً الشيخ المراغي

والحياة السياسية المصرية والعربية

[رحل الإمام محمد عبده في ١٩٠٥ وترك لمصر من ورائه من يملئون الفراغ الذي تركه، مثل محمد مصطفي المراغي، والشيخ محمد شاكر والشيخ مصطفي عبد الرازق، والشيخ محمود شلتوت ولذلك فقد ترسم واحد منهم وهو المراغي مقولة الإمام محمد عبده إلي الخديوي عباس حلمي الثاني «إن إصلاح الأزهر أعظم خدمة للإسلام وإصلاحه إصلاح لجميع المسلمين.

مصطفى النحاس باشا يعين المراغى شيخاً للأزهر :

تمسك مصطفي النحاس باشا رئيس الوزراء في ١٦ مارس ١٩٢٨، بتعيين «المراغي» شيخاً للأزهر علي غير رغبة الملك فؤاد ، غير أن إصرار النحاس جعل الشيخ المراغي أصغر من تولوا شياخة الأزهر فهو مولود في مارس ١٨٨١ في مراغة بمركز طهطا بمديرية سوهاج ، وكان أصغر من حصل علي العالمية إذ حصل عليها عام ١٩٠٤ علي يد الإمام محمد عبده .... وفي السودان تعلم الإنجليزية و توسعت علاقته بالسودانيين وقد عرف عن المراغي الميل للاعتدال والنفور من العنف مع استقلال القرار وعزة نفس وأنفة وذكاء وطموح إصلاحي كبير لبلاد العرب والمسلمين , .
في الفترة الواقعة بين سنتي ١٩١١ و١٩١٣م وهي سنوات الحرب التركية الإيطالية، والتي كان من نتائجها، سخط العرب علي الدولة العثمانية التي تخاذلت في هذه الحرب فأسس عدد من شباب العرب العسكريين والمدنيين «جمعية العهد» في أكتوبر ١٩١٣، وكان من بينهم «عزيز المصري» و«نور السعيد»، وانضم غالبية هؤلاء بمعاونة الإنجليز إلي حركة «الشريف حسين» سنة ١٩١٥، في سياق المساعي البريطانية إلي نقل الخلافة من الدولة العثمانية إلي الشريف حسين باعتباره قرشياً، خاصة أنه أعلن نفسه ملكاً بعد سقوط الطائف عام ١٩١٦ وعلي الرغم من

علاقة المراغي بالإنجليز والتي كانت متوازنة، فقد أعلن عدم شرعية نقل الخلافة للشريف حسين الذي كان حليفاً قوياً للإنجليز في المنطقة العربية أثناء الحرب العالمية الأولي وجاء رأي المراغي مخيباً لآمال الإنجليز وعلي غير رغبة الحركة القومية العربية الصاعدة .
وفي الثالث من مارس عام ١٩٢٤ جاء أتاتورك وألغي الخلافة العثمانية فإذا بأنظار الإنجليز تتحول من الشريف حسين ـ في موضوع نقل الخلافة إياه ـ إلي الملك فؤاد في مصر، ومن جانبه، فقد وجد الملك فؤاد، هذا فرصة للتخلص من كل القيود التي يفرضها دستور ١٩٢٣م، علي سلطاته، وتحولت الأنظار إلي مصر وتولد اتجاه عام إلي أن تكوين الخلافة في مصر،وتكونت «الهيئة العلمية الدينية الإسلامية الكبري» برئاسة الشيخ أبوالفضل الجيزاوي شيخ الجامع الأزهر وعضوية المراغي والشيخ عبد الحكيم البكري والشيخ محمد شاكر ونشط القصر في هذا الاتجاه وفي الدعوة لهذه الهيئة وتشجيع المجلة الشهرية التي أصدرتها، ويظهر طرف آخر في القصة، ولكنه طرف قوي وهو «الوفد» الذي رأي ـ بزعامة سعد زغلول عدم تمكين الملك فؤاد من هذا الرداء الديني الذي سيضاعف من سلطة القصر، ثم ما لبث أن ظهر كتاب لأحد شيوخ الأزهر وهو الشيخ علي عبد الرازق «الإسلام وأصول الحكم» الذي أذكي لهيب المعركة، في عكس اتجاه الراغبين في الخلافة، وخرج أحمد حسين لينادي بالخلافة لمصر، داعياً لتأسيس ما يسمي «حزب الخلافة الإسلامية» الذي يعمل علي جمع المسلمين كافة والالتفاف حول «مليكنا الصالح خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم، فاروق الأول»، .....

و حينما أصبح المراغي شيخاً للأزهر في مايو ١٩٢٨ وكان أصغر من تولي المنصب إذ كان عمره آنذاك «٤٧ عاماً» تزعم تيار الإصلاح داخل الأزهر وشكل لجنة للإصلاح برئاسته انتهت من بحوثها في سبتمبر وأقرت وزارة محمد محمود هذه الأبحاث وبدأ المراغي في تنفيذ مشروعه قبل أن يصدر قانون به فألغي مدرسة القضاء الشرعي وفتح باب الاجتهاد وإدخال العلوم الحديثة، غير أنه أدرك بذكائه أن الوزارة تتباطأ في استصدار القانون تجنباً لصدام مع الملك الذي لم يكن راضياً عن مشروع المراغي وتحت إلحاح المراغي أقرت الوزارة المشروع ورفضه الملك في اليوم الأخير للوزارة،وقدم المراغي استقالته وأصر عليها فقبلها رئيس الوزراء محمد محمود في نفس يوم استقالة الوزارة، وخلف الشيخ محمد الظواهري الشيخ المراغي علي شياخة الأزهر في ١٠ أكتوبر ١٩٢٩، وظل المراغي بعيداً عن الأزهر طيلة خمس سنين، وإذا بشيوخ الأزهر ورهط من طلابه يخرجون يهتفون لعودة المراغي، مما أدي لفصل ٧٢ من شيوخ وعلماء الأزهر والذين كان منهم الشيخ إبراهيم اللقاني والشيخ شلتوت وعبد اللطيف دراز،ومع بداية وزارة توفيق نسيم في ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ بدأ شباب الأزهر حركة أعلي صوتاً تطالب بالإصلاح وامتدت الحركة لمعاهد أخري ومدن أخري وبلغت ذروتها في يناير ١٩٣٥ وأصبح هدفها الأول المطالبة بعودة المراغي، وكان زعيم هذه الحركة الشيخ أحمد حسن الباقوري، الذي أطلق عبارته الشهيرة: «إما تحت راية المراغي وإما إلي القري

تاركين الأزهر للبوم والغربان» ولكن الشيخ الظواهري في ١٨ فبراير ١٩٣٥ أصدر قراراً بفصل الشيخ الباقوري فضلاً عن قرارات نقل لبعض المشايخ من الأزهر، لكن الظواهري عاد واستقال في أبريل من العام نفسه، ليعود المراغي شيخاً للأزهر وبقي في منصبه هذا إلي أن توفي في ٢٢ أغسطس ١٩٤٥. (5)]

المحور الثالث :

المواقف الوطنية بين مصر والسودان للشيخ المراغي رحمه الله :

[**لا سلطان على شيخ الأزهر إلا الله** :

يقول الأستاذ عبد القادر خليف عن مواقف الشيخ المراغي المشرفه :

من هذه المواقف المشرفة موقفه من الحرب العالمية الثانية ، حيث رفض الإمام المراغي فكرة اشتراك مصر في هذه الحرب سواء بالتحالف أو التعاون مع الإنجليز، أو التعاون مع الألمان للتخلص من الاحتلال البريطاني يذكر أن المصريين غرر بهم في هذه الحرب وصارت مصر بمحصولاتها وخيراتها ورجالها وقفا على احتياجات الانجليز في الحرب وقد كان الانجليز وعدوا المصريين بالاستقلال حال النصر وصدقهم المنبطحون ، على حين توجه آخرون إلى قبلة الألمان ليخلصوهم من الانجليز وفرحوا بدخول الألمان منطقة العلمين وهتفوا بقائد الجيش الألماني : " تقدم يا روميل" فأعلن الإمام المراغي موقفه صراحة بقوله: "إن مصر لا ناقة لها ولا جمل في هذه الحرب، وإن المعسكرين المتحاربين لا يمتان لمصر بأية صلة...". وقد أحدثت كلمة الإمام المراغي ضجة كبيرة هزت الحكومة المصرية، وأقلقت الحكومة الإنجليزية، والتي طلبت من الحكومة المصرية إصدار بيان حول موقف الإمام المراغي باعتباره شيخ الأزهر من هذه الحرب ومن الحكومة الإنجليزية.

فما كان من رئيس الوزراء المصري في ذلك الوقت حسين سري باشا إلا أن قام بالاتصال بالشيخ المراغي، وخاطبه بلهجة حادة طالبا منه أن يحيطه علما بأي شيء يريد أن يقوله فيما بعد حتى لا يتسبب في إحراج الحكومة المصرية.

فرد عليه الإمام المراغي بعزة المؤمن الذي لا يخاف إلا الله قائلا : "أمثلك يهدد شيخ الأزهر؟" وشيخ الأزهر أقوى بمركزه ونفوذه بين المسلمين من رئيس الحكومة ، ولو شئت لارتقيت منبر مسجد الحسين، وأثرت عليك الرأي العام ، ولو فعلت ذلك لوجدت نفسك على الفور بين عامة الشعب.
وبعد فترة هدأت العاصفة لأن الإنجليز أرادوا أن يتفادوا الصراع مع الشيخ المراغي حتى لا يثير الرأي العام في مصر ضد القوات البريطانية المحتلة في مصر. فلم يكن موظف دولة ولم يكن بوقا يردد ما تقوله الأنظمة الفاسدة ويطوع الأدلة لذلك فيرضى لنفسه أن يكون جزءا من نظام فاسد له ما للنظام وعليه ما على النظام كما أنه لم يكن يعرف الخطوط الحمراء مع الساسة والسلاطين .

2 ـ وقد تزعم الإمام المراغي حملة لجمع تبرعات في مصر لصالح المجاهدين في السودان الذين يقاومون الاحتلال البريطاني في الوقت الذي كانت الحكومة المصرية للأسف تساعد الجيش الانجليزي على احتلال السودان، وبلغت حصيلة التبرعات ستة آلاف جنيه مصري آنذاك تقدر اليوم بحوالي أكثر من ستة ملايين جنيه مصري.

3 ـ ومن المواقف التاريخية المشرفة للإمام المراغي رفضه الاستجابة لطلب الملك فاروق ملك مصر، والخاص بإصدار فتوى تحرم زواج الأميرة فريدة طليقته من أي شخص آخر بعد طلاقها، فرفض الشيخ المراغي الاستجابة لطلب الملك فاروق، فأرسل الملك فاروق بعض حاشيته لكي يلحوا عليه لإصدار هذه الفتوى، فرفض الشيخ المراغي، ولما اشتد عليه المرض دخل مستشفي المواساة بالإسكندرية، وهناك زاره الملك فاروق للاطمئنان عليه من ناحية، وللإلحاح عليه مرة أخري لإصدار الفتوى الخاصة بتحريم زواج الملكة فريدة، فصاح الإمام المراغي برغم ما كان يعانيه من شدة الألم بسبب المرض قائلا : "أما الطلاق فلا أرضاه، وأما التحريم بالزواج فلا أملكه، إن المراغي لا يستطيع أن يحرم ما أحل الله".
4ـ ولم يكن المرض ليمنع الإمام المراغي من أداء واجبه في خدمة الأزهر ليكون قلعة ومنارة للإسلام. ففي إحدى السنوات اشتد عليه المرض، وكانت فترة الامتحانات بالأزهر قد بدأت، فأصر الإمام المراغي على الذهاب يوميا لمكتبه في الأزهر، حيث كانت تطبع أوراق الامتحانات، وبرر ذلك بقوله: "إنني أتقبل تعرض صحتي للخطر وهو أمر أهون على من أن تتعرض سمعة الأزهر للخطر". (6)] .

<u>الشيخ المراغي و إصلاح القضاء والأزهر:</u>

كان الشيخ المراغي معنيّا بقضية الإصلاح والتجديد، مترسماً في ذلك خطى أستاذه محمد عبده، وقد اهتم الشيخ المراغي بإصلاح كل من الأزهر والقضاء.

(5) **إصلاح القضاء** : كان إصلاح القضاء هو الاهتمام الشاغل للإمام المراغي لتحقيق العدل والإصلاح بين الناس، وكان الشيخ يتبع أسلوبا جديدًا مع المتقاضين، حيث كان يحاول أن يوفق بينهما دون اللجوء للتقاضي، وكان يرى أن القاضي يستمد أحكامه وقدراته من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة لا من القوانين الوضعية ، ولا سلطان لأحد عليه سوى الله حتى يستطيع أن يؤدي رسالته في العدالة بين الناس دون الخوف من أحد، حتى ولو كان الحاكم أو السلطان. وكان الإمام المراغي يرى أن إصلاح القانون هو إصلاح لنصف القضاء؛ لذلك شكل لجنة برئاسته تكون مهمتها إعداد قانون يكون هو الركيزة الأساسية للأحوال الشخصية في مصر .

وقد وجه الإمام المراغي أعضاء اللجنة المكلفة بإعداد القانون بعدم التقيد بمذهب معين، حيث كان القضاة لا يحيدون عن مذهب الإمام أبي حنيفة ، الذي كان معمولاً به في ذلك الوقت ، إلى غيره من المذاهب، ولكن الإمام المراغي كان يرى بضرورة الأخذ بغيره من المذاهب إذا كان فيها ما يتفق مع المصلحة العامة للمجتمع، وكان مما

قاله لأعضاء اللجنة: "ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه يوافق الزمان والمكان، فالشريعة الإسلامية فيها من السماحة والتوسعة ما يجعلنا نجد في تفريعاتها وأحكامها في القضايا المدنية والجنائية كل ما يفيدنا وينفعنا في كل وقت".

(6) **إصلاح الأزهر**: كانت نصرة الإسلام وتطوير وإصلاح الأزهر على رأس أولويات الشيخ المراغي؛ لذلك شكل فور توليه مشيخة الأزهر لجانًا لإعادة النظر في قوانين الأزهر، ومناهج الدراسة فيه. كما قدم قانونا لإصلاح وضع الأزهر للملك فؤاد الأول الذي كان مشرفا على شئون الأزهر آنذاك، إلا أن بعض حاشية الملك فؤاد أوعزوا له بأن الشيخ المراغي يريد استقلال الأزهر عن القصر، فرفض الملك فؤاد القانون، وأعاده إلى الشيخ المراغي. فما كان من الشيخ المراغي إلا أن وضع القانون الخاص بإصلاح الأزهر في ظرف، واستقالته من مشيخة الأزهر في ظرف آخر، وطلب من الملك فؤاد حرية الاختيار، فقبل الملك فؤاد الاستقالة، ولكن الإضرابات عن الدراسة التي قام بها علماء وطلاب الأزهر، والتي استمرت أكثر من 14 شهرًا أجبرت الملك فؤاد على إعادة المراغي شيخًا للأزهر مرة أخرى.

ـ وقام الشيخ المراغي بإنشاء ثلاث كليات تكون مدة الدراسة فيها أربع سنوات تتخصص إحداها **في علوم العربية**، وهي **كلية اللغة العربية**، والثانية في علوم الشريعة **وهي كلية الشريعة والقانون**، والثالثة في علوم أصول الدين وهي **كلية أصول الدين**. ـ وقد دعا الإمام المراغي إلى ضرورة العمل على تحرير مناهج الأزهر من التقليد والتلقين في التدريس، والأخذ بالأساليب الحديثة، والتوسع في الاجتهاد.

ـ ودعا الطلاب إلى دراسة اللغات الأجنبية ليكونوا أكثر قدرة على نشر الإسلام والثقافة الإسلامية لغير المسلمين. ـ وقد شكل الإمام المراغي لجنة للفتوى داخل الجامع الأزهر تتكون من كبار العلماء تكون مهمتها الرد على الأسئلة الدينية التي تتلقاها من الأفراد والهيئات، كما شكل أكبر هيئة دينية في العالم الإسلامي، وهي جماعة كبار العلماء، والتي تتكون من ثلاثين عضوًا، واشترط الإمام المراغي في عضويتها أن يكون العضو من العلماء الذين لهم إسهام في الثقافة الدينية، وأن يقدم رسالة علمية تتسم بالجرأة والابتكار.

ـ وقد دعا الإمام المراغي للتقريب بين المذاهب الإسلامية والتقريب بين طوائف المسلمين، وبذل في سبيل ذلك بعض المحاولات منها: إجراء محادثات مع أغاخان!!! بهدف تكوين هيئة للبحث الديني تكون مهمتها توثيق الروابط بين المسلمين في جميع أنحاء العالم، وإقامة نوع من التعاون بين الهيئات التعليمية في البلدان الإسلامية، والتوفيق بين المسلمين مهما اختلفت مذاهبهم وفرقهم. (7)] .

(7) الشيخ وجورج الخامس في السودان :

إعتزمت الحكومة البريطانية أثناء إحتلالها للهند أن تحتفل بتنصيب الملك جورج الخامس إمبراطورا على الهند فأصدرت الأوامر إلى كبار موظفي الحكومة في السودان وكبار الأعيان أن يسافروا إلى ميناء سواكن لاستقبال باخرة جلالة الملك وهي في طريقها إلى الهند حيث تتوقف لبعض الوقت وكان في مقدمة المدعوين قاضي السودان وقتئذ الشيخ المراغي وكان البروتوكول يقضي بألا يصعد إلى الباخرة غير الحاكم الإنجليزي أما من عداه فيتشرفون بالمرور بمحاذاة الباخرة وجلالة الملك يشرفهم بأن يطل عليهم وعلم الشيخ فأخبر الحاكم الإنجليزي بأنه لن يكون في الإستقبال ألا إذا صعد هو الاخر مثله مثل الحاكم تماما. وتأزم الموقف وجرت اتصالات مع الحكومة الإنكليزية ومع الباخرة في عرض البحر وتغير الترتيب وصعد الشيخ وتصافح مع الإمبراطور فقال بعض الإنكليز والمراسلين مستنكرين : كان ينبغي أن تنحني للملك كما ينحني كل من يصافخه فرد الشيخ في إعتزاز واعتداد بالعلم والعلماء: ليس في ديننا الركوع لغير الله (8)] .

(8) من أهم مآثر هذا الشيخ البطل المقاوم تأسيسه في يونية 1933 لجمعية مقاومة التنصير والتبشير لمواجهة البعثات التنصيرية في مصر والسودان .

قصة الجمعية :

مقاومة الحركة التنصيرية في مصر وتنفيذاً لبعض بنود قانون الخط الهميوني الذي يسمح للإرساليات النصرانية والصهيونية بالعيث فساداً في بلاد المسلمين وبناء الكنائس والتضييق على المقاومين للاحتلال :

[في منتصف يونيه 1933م أعلن الشيخ "مصطفى المراغي" عن تأليف جمعية لمقاومة التبشير، وكان الشيخ لا يزال غاضباً من حرمانه من مركزه شيخاً للأزهر، ولم يكن هدفه من تشكيل هذه اللجنة، ليس الحفاظ على سلطته الأدبية أمام الرأي العام فحسب، ولكن، أيضاً إحراج شيخ الأزهر "الظواهري" الذي انتقدته بعض الصحف؛ لتخاذله في موقفه ضد الإرساليات التنصيرية، وكذلك مضايقة الحكومة، وهذا ما جعل الشيخ "الظواهري" شيخ الأزهر يؤلف هو الآخر لجاناً في جميع أنحاء القطر لجمع التبرعات لمناهضة هؤلاء المبشرين، ولنشر الوعظ الديني الإسلامي بين الناس في المساجد وغيرها، ولبناء الملاجئ لإيواء الأطفال المتشردين الشاردين، ويبدو أنه حدث نوع أو شكل من التوفيق بين الشيخ "المراغي" والشيخ "الظواهري، والتقى الرجلان من أجل تحقيق غاية واحدة هي مقاومة ومحاربة التنصير، الذي عجزت عنه الحكومة.

الأعضاء المؤسسون

سرعان ما انضم إلى عضوية جمعية مقاومة التنصير، لفيف من رجال الدين الإسلامي، والمفكرين والمثقفين، وكثير من شباب الأزهر. فكان من أعضاء الجمعية الدكتور "محمد حسين هيكل، وعبد الحميد سعيد، رئيس جمعيات الشبان المسلمين، ومحب الدين الخطيب، رئيس تحرير مجلة الزهراء الشهرية، ومجلة الفتح الأسبوعية، والشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ أحمد إبراهيم أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق، وأحمد الغمراوي، ويحيى الدرديري، ومحمد علي فضلي، ومحمد الههياوي، والصفتي ومحمد عبد الوارث الصوفي، من الأزهر، ومحمد فهمي حسين عبد الوهاب، وطه عبد الباقي سرور نعيم سكرتير تحرير مجلة الإسلام والتصوف، فيما بعد، والشيخ حسن البنا، إذ كان عضواً بارزاً فيها. والحقيقة أن وجود الشيخ "المراغي" بالجمعية قد زادها قوة في نظر الرأي العام، في ذلك الوقت، وتألفت لجان الأقاليم للجمعية، وكانت مقار هذه اللجان، غير مستقرة، وفى بعض الأقاليم كانت غير معلومة. وكانت غالبية مقار لجان الأقاليم، دوراً أو مقار الشبان المسلمين. كما كانت قيادات الجمعية في القاهرة، تجتمع في دار الشبان المسلمين.

أهداف الجمعية

وتمثلت أهداف الجمعية، في محاربة الإلحاد، وإرسال المبعوثين لدحض حجج المنصرين في اجتماعاتهم العامة؛ وإصدار المنشورات، التي تفضح أعمال الإرساليات التنصيرية، وحث المسلمين على مقاومة المنصرين، وتنويرهم بأساليب المنصرين الخبيثة، وجمع التبرعات المالية من القادرين، من أجل إيواء الأطفال المتشردين ببناء الملاجئ لهم والمدارس الإسلامية، لتعليم أبناء المسلمين فيها. بعيداً عن مدارس الإرساليات اللعينة..... وفى ذلك الوقت، كان هناك لفيف من علماء الدين الإسلامي، لا يهتمون بنشاط هذه الإرساليات التنصيرية، وقد كتب بعض هؤلاء في الصحف يقولون: "إن الحكومة لا تستطيع أن تفعل شيئاً إذا لم يثبت أن الإرساليات تستخدم الإرغام"، وكتب البعض الآخر يقول: "من الأجدر بالجمعية أن تشجع المسلمين أن يتبرعوا للمدارس الإسلامية" وقالت صحيفة "الاتحاد"، التي كان يكتب فيها عدد من هؤلاء: "إنه ليس هناك مشكلة خاصة بالإرساليات، حيث إنه ليس هناك دين يستطيع أن ينافس الإسلام". ولكن عندما تعاظم نشاط الجمعية، شعر هؤلاء العلماء، بأن موقفهم أصبح حرجاً للغاية، خاصة أن جماهير الشعب أخذت توجه لهم اللوم؛ كما أن بعض أعضاء الجمعية كانوا يهاجمون هؤلاء العلماء، وكان البعض يدعي، بأن الشيخ "الظواهري"، من ولكن الشيخ "الظواهري" شيخ الأزهر، كان قد أصدر في شهر يونيه 1933م، منشوراً باسمه، أشعل النار ضد الإرساليات التبشيرية. وكانت بنود هذا المنشور، في غاية العنف والحماسة ضد المنصرين. فقد

حث فيه الحكومة على استئصال هذا المرض الخطير، واتهم المنصرين باستخدام الضغط والتعذيب. .....هكذا نشأت جمعية محاربة التنصير، وقاومت الإرساليات الأجنبية في مصر، خلال فترة تاريخية عصيبة، كان الاستعمار البريطاني خلالها يجثم على الصدور، وكان بامتيازاته الخاصة، التي حصل عليها على إثر الاتفاق مع السلطان العثماني، في 7 مايو 1830م، يقيد حركة القوى الإسلامية، ويحد من نشاطها في مقاومة الإرساليات التنصيرية.(9)] .

فهل فعل شيوخنا مافعله الشيخ المراغي أو الشيخ الظواهري رحمة الله عليهما أم نسقوا المواقف وكبلوا الخطباء وفتحوا الأبواب للفتن و التنصير على مصراعيه . ؟

مؤلفاته :

أثرى الشيخ المراغي المكتبة الإسلامية بالكثير من المؤلفات والتراجم، والتي اشتملت على برامجه الإصلاحية، وخاصة إصلاح الأزهر وقوانين الأسرة، بالإضافة لمؤلفاته ودروسه في تفسير القرآن الكريم، وبعض القضايا الفقهية واللغوية ومن أهم هذه المؤلفات.

(1) الأولياء والمحجورون: وهو بحث فقهي لا يزال مخطوطا بمكتبة الأزهر، تناول فيه الشيخ المراغي الحجر على السفهاء، وقد نال الشيخ المراغي بهذا البحث عضوية هيئة كبار العلماء.
(2) تفسير جزء تبارك: وقد قصر الشيخ المراغي من هذا التفسير أن يكون مكملاً وتكملة لتفسير جزء عم للإمام محمد عبده.
(3) بحث في وجوب ترجمة القرآن الكريم.
(4) رسالة بعنوان: الزمالة الإنسانية كتبها لمؤتمر الأديان في لندن.
(5) بحوث في التشريع الإسلامي وأسانيد قانون الزواج رقم 25 سنة 1929.
(6) مباحث لغوية بلاغية.
(7) دروس دينية نشرت بمجلة الأزهر تشتمل على تفسير لبعض سور القرآن الكريم، وقد ألقي الشيخ المراغي هذه الدروس في المساجد الكبري في القاهرة والإسكندرية، وحضرها الملك فاروق في الفترة من عام 1356هـ حتى عام 1364هـ، وقد نشرت هذه الدروس في كتيبات مستقلة فيما بعد. (10)] .

(8) ومن أهم ما تركه الشيخ مصطفى المراغي وأثرى به المكتبة الإسلامية تفسيراً للقرآن الكريم يدعى " تفسير المراغي " .

[الشيخ المراغي أحد شيوخ التقريب و أصغر شيخ للأزهر :

يعد الشيخ محمد مصطفي المراغي قيمة علمية ودينية كبيرة تستحق منا جميعًا الاحتفاء بها، والتذكير بالدور الكبير الذي لعبه الشيخ المراغي في حياتنا الفكرية والدينية في النصف الأول من القرن العشرين. فأمتنا الإسلامية في أشد الحاجة بين حين وآخر إلى تنشيط ذاكرتها، وتعريف الأجيال الناشئة والقادمة بسير أعلامها في جميع المجالات حفزًا للهمم، وتقوية للعزائم، وتواصلاً مع الأجيال، وسلوكًا على نفس الدرب من أجل خير الإسلام والمسلمين. فقد عرفت الساحة الفكرية والدينية في مصر في النصف الأول من القرن العشرين الشيخ المراغي بوصفه أحد عظماء العلماء الكبار ، كما عرفته مصلحًا اجتماعيًا كبيرًا ووطنيّا غيورًا دعا لإصلاح الأزهر ليكون منارة وقلعة للإسلام ، كما دعا لإصلاح القضاء والتقريب بين المذاهب الإسلامية والتقريب بين طوائف المسلمين المختلفة. (11)] .

وأخيراً وليس آخراً نقول بأن هذا الشيخ بالفعل جدير بأن يكون شيخاً للأزهر الشريف و يستحق التكريم وأن يشاهد علمه ومواقفه الوطنية شيوخ وعلماء الأزهر في مصر والعالم العربي والإسلامي و يستحق مسلسل سينمائي خاص به كالشيخ عبد المجيد سليم وشلتوت وعبد الحليم محمود وهؤلاء النخبة الذين لم يفرقوا بين أمة محمد صلى الله عليه وآله لسعة علمهم وإخلاصهم مع ربهم وفي ذلك نبراساً لطريق و سلوك العالم الرباني المحب لله تعالى ورسوله وأهل بيته والمؤمنين ووطنه والمسلمين والناس أجمعين يؤلف بينهم تماماً كما قال صلى الله عليه وآله [" قربوا وسددوا ..... الحديث "]

وأخيراً يقول فيه الفنان هادي الجيار [..... لـ FilBalad.com أنه يستعد لخوض تجربة درامية جديدة عن قصة الشيخ محمد مصطفى المراغي ، والذي رشح لإخراجه المخرج وفيق وجدي كما رشح نخبة كبيرة من عمالقة التلفزيون على رأسهم حسن يوسف وأشرف عبد الغفور وسميحة أيوب ، ولم يذكر تفاصيل أكثر عن العمل ..... وأضاف الجيار أنه ينتظر عرض مسلسل "الإمام محمد عبده" الذي أنتهى منه مؤخراً ويشاركه البطولة أحمد عبد العزيز ووفاء عامر وأحمد ماهر وأحمد راتب وأحمد خليل ، عن قصة للكاتبة عايدة الرباط ، وإخراج اشكري أبو عميرة.(12)] .

توفي هذا العالم الجليل سنة 1945 رحمة الله عليه وعلى كل من سلك سبيل الحق ولم يخشى في الله لومة لائم .

وعلى ما صرح به نبارك لهم مبدئياً عملهم الدرامي العظيم الذي سيبين إن شاء الله سلوك العالم الرباني الجليل والمقاوم الوطني العملاق ونقول له سدد الله خطاكم انتم و كل من ساهم في هذا العمل المبارك لعله يكون نبراساً لعلماء آخر الزمان

لعلهم به يهتدون وبسيرته العطرة يعملون .

هذا وبالله التوفيق وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

الهوامش :

(1)الرابط :

http://www.islamonline.net/discussiona/message.jspa?messageI
. [D=22995&tstart=0

(2) الرابط :

http://www.elwessia.com/vb/showthread.php?t=23974

(3)الرابط :

http://www.islamonline.net/discussiona/message.jspa?messageI
. [D=23018&tstart=0

(4) الرابط :

http://www.islamonline.net/discussiona/message.jspa?messageI
. D=23015&tstart=0

(5) الرابط :

http://www.coptichistory.org/new_page_4010.htm. [

(6) الرابط :

.
[
http://www.islamonline.net/discussiona/message.jspa?messageI
. D=23015&tstart=0

(7) الرابط :

http://www.islamonline.net/discussiona/message.jspa?messageI
[D=23013&tstart=0

(8) الرابط :

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8
%AF_%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89_%D8%
A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%BA%D9%8A
.]

(9)الرابط :

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Denia9/Tanseria/sec
. [08.doc_cvt.htm]

(10)الرابط :

http://www.islamonline.net/discussiona/message.jspa?messageI
. [D=23016&tstart=0]

(11) الرابط :

http://www.islamonline.net/discussiona/thread.jspa?threadID=5
. [814]

(12) الرابط :

. **[** http://www.filfan.com/News.asp?NewsID=2003

(4)

الشيخ شلتوت

1958

حياته :

ولد في منية بنى منصور مركز إيتاى البارود بمحافظة البحيرة في مصر سنة 1893م. حفظ القرآن الكريم وهو صغير. ودخل معهد الإسكندرية ثم إلتحق بالكليات الأزهرية. ونال شهادة العالمية من الأزهر سنة 1918م. وعين مدرساً بمعهد الإسكندرية سنة 1919م. وشارك في ثورة 1919م بقلمه ولسانه وجرأته. ونقله الشيخ محمد مصطفى المراغي لسعة علمه إلى القسم العالى. وناصر حركة إصلاح الأزهر وفصل من منصب إشتغل بالمحاماة ثم عاد للأزهر سنة 1935م.

أعماله وإنجازاته

أختير عضواً في الوفد الذى حضر مؤتمر لاهاي للقانون الدولى المقارن سنة 1937م، وألقى فيه بحثاً تحت عنوان المسئولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية، ونال البحث إستحسان أعضاء المؤتمر فأقروا صلاحية الشريعة الإسلامية للتطور وأعتبروها مصدراً من مصادر التشريع الحديث وإنها أصيلة وليست مقتبسة من غيرها من الشرائع الوضعية ولا متأثرة بها ونال ببحث المسئولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية عضوية جماعة كبار العلماء.

ونادى بتكوين مكتب علمى للرد على مفتريات أعداء الإسلام وتنقية كتب الدين من البدع والضلالات وكانت مقدمة لإنشاء مجمع البحوث الإسلامية .

وعين سنة 1946م عضواً في مجمع اللغة العربية. وأنتدبته الحكومة لتدريس فقه القرآن والسنة لطلبة دبلوم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق في سنة 1950م، وعين مراقباً عاماً للبعوث الإسلامية فوثق الصلات بالعالم الإسلامى، وفي سنة 1957م أختير سكرتيراً عاماً للمؤتمر الإسلامى ثم عين وكيلاً للأزهر. وفي سنة 1958م صدر قرار بتعيينه شيخاً للأزهر. وسعى جاهداً للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ومن أجمل ماكتب في حياة الشيخ شلتوت بحثاً للدكتور محمد الدجوي في مدونته :

]الشيخ محمود شلتوت الذي أضاء النور الأزهر في الليل الشيوعي

•

د. محمد الجوادي

كاتب مصري

2/6/2019

كان الشيخ محمود شلتوت قطعة صخر مصرية بديعة التكوين منحوتة بتوفيق إلهي من قمة جبل الجرانيت الأزهري القادر رغم رسوخه على أن يتخطى الزمن الحاضر مستعينا بالماضي الزاهر، وكان هو النموذج الأمثل لمن يجعلون التراث طاقة دافعة حين يُجمع معاصروهم على الاقتناع بأن التراث عبء، وأنه لابد من التخلص منه، وكان بالإضافة إلى هذا عالما واسع الأفق قادرا على أن يصور الخلاف نعمة وأن يسعى وراء الاعتراف بالخلاف ومناقشته من أجل التقريب لا من أجل الزعم بالتصويب، وكانت مكانته العلمية التي ترسخت في عهد الليبرالية قد أعطته من قوة الاسم نفوذا فكريا خدم قضية الهوية، فقد كان عضوا في مجمع اللغة العربية، وعضوا في هيئة كبار العلماء، وصاحب مواقع علمية متقدمة من قبل قيام ثورة 1952، كما أنه بلغة السوق الحر أثبت ذاته حين ترك الوظيفة وعمل بالمحاماة فلمع اسمه، ولهذا فقد كان توليه المشيخة بمثابة تحصيل حاصل في ذلك العصر الذي أُنفذ فيه التعديل المستفز الذي أدخلته ثورة يوليو على قانون هيئة / جماعة كبار العلماء واشترطت فيه حدا أقصى لسن عضويتها وبهذا التعديل أخرجت الثورة أبرز كبار العلماء من عضويتها، وكان منهم ثلاثة من شيوخ الأزهر السابقين، ومع هذا فإن الثورة من باب استمرارها في التنغيص على الأزهريين اختارت للمشيخة شيخا أزهريا سُوربونيا كان يعمل في ذلك الوقت أستاذا في كلية حقوق عين شمس، وهو الشيخ الدكتور عبد الرحمن تاج، لكنها لم تجد فرصة لمواصلة التنغيص فأقرت للشيخ شلتوت بمنصب الوكالة، وكان من الطبيعي أن تؤول المشيخة للشيخ شلتوت مع أول فرصة يتم فيها تنصيب الشيخ الدكتور عبد الرحمن تاج في منصب آخر، وهو ما حدث حينما عين وزيرا في دولة اتحاد الدول العربية التي تطورت أو نشأت ورقيا بضم اليمن إلى وحدة مصر وسوريا، وهكذا أصبح الشيخ شلتوت شيخا للأزهر (1958)، وهو في الخامسة والستين، وإلى أن توفي وهو في السبعين، وكانت وفاته نتيجة حتمية لما مر به من تجاوز وتحرش وظلم وقهر وكمد ونكد وتضييق وتنغيص وقد قاده كل هذا إلى المرض ثم إلى تكراره ثم إلى اشتداده ثم إلى أزماته ثم إلى وفاته.

صادفت مشيخة الشيخ شلتوت للأزهر إقالة الشيخ أحمد حسن الباقوري من منصب وزير الأوقاف، في فبراير 1959 أي بعد شهور قليلة من متولي الشيخ شلتوت للمشيخة، وهكذا فإن الوجود الأزهري في مقدمة الحياة العامة والسياسية لم ينقطع بغياب الشيخ الباقوري عن الصورة، وإنما اتخذ صورة أخرى من صور العظمة الأزهرية المستمدة من عظمة الإسلام، فإذا كان الشيخ الباقوري رمزا لما تشترك فيه الفكرة الإخوانية مع الفكرة الشيوعية من الانتصار للأممية على الفكرة القومية أو الوطنية، فقد كانت للشيخ شلتوت أطروحته الأقوى في توسيع فكرة الانتماء والولاء الإسلامي لتتجاوز محنة التفريق بين أهل السنة والشيعة، ومن باب أولى لتحقق

القضاء على عقلية الشقاق المذهبي، ومن الحق أن نقول إن الشيخ شلتوت حقق في هذا الصدد ما لم يُلحق فيه حتى الآن، وإن كان من المفهوم بالطبع انه وجه ضربات علمية ودينية غير مباشرة إلى التجليات السياسية المرتبطة بما يسمى عقيدة البراء عند بعض طوائف المسلمين، مع هذا كله وعلى المستوى الشكلي فإن الشيخ محمود شلتوت هو أول من لقب بلقب الإمام الأكبر، بعد أن صدر قانون التطوير (1961) ونص على هذا، كما أنه هو شيخ الأزهر الوحيد الذي توفي وهو في منصبه بين من تولوا المنصب في عهد الثورة الأول ورئاسة الرئيس عبد الناصر، فقد استقال سلفاه الجليلان الشيخان عبد المجيد سليم ومحمد الخضر حسين، وأبعد الشيخ عبد الرحمن تاج بأن عين وزيرا اتحاديا، وأستقال خلفه الشيخ حسن مأمون بناء على طلب الدولة.

مكانته في عصره

حين طلب مني أن أعرف به على طريقة الموسوعات الغربية، فقد كتبت إنه واحد من أبرز علماء الدين الإسلامي والمعارف المتصلة به في القرن العشرين، جمع التفوق والألمعية والحضور والدأب والنفوذ، وعرف على أنه فقيه واسع الأفق، ومفسر واسع الاطلاع، حارب الجمود والعصبية المذهبية إلى حد أن وصفها (محذرا) بأنها جعلت المذاهب الإسلامية أقرب إلى أن تكون أديانا، كما حارب فكرة سد باب الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، واعتبرها حبسا للعقول، وتعطيلا لكتاب الله، ومجافاة لنصوصه الداعية إلى البحث والنظر، ظهرت آراؤه الإصلاحية منذ شبابه الباكر في نهاية الربع الأول من القرن العشرين، وظل متمسكا بنهج الإصلاح ومنهج الاجتهاد حتى وفاته. ويقتضيني الإنصاف أن أشير إلى حقيقة مهمة وهي أنه لولا ما كتبه أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي عن تاريخ الشيخ محمود شلتوت ما كان في وسعنا أن نكتب هذه الدراسة، ولا ما سبق لنا كتابته عن هذا الإمام العظيم.

ولد الشيخ محمود شلتوت بمنية بني منصور مركز إيتاي البارود بمحافظة البحيرة (1893)، وحفظ القرآن الكريم ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني (1906)

وإذا جاز أن لكل عالم من أعلام الأزهر وشيوخه إمامة عبقرية وبارزة وساطعة في ميدان من الميادين، متفوقا به على غيره، فقد تميز الشيخ محمود شلتوت بأنه إمام التقريب، مع أن سلفه غير المباشر الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم كان هو رائده في هذه الدعوة، لكن الشيخ شلتوت كان هو من مضى بالفكرة خطوات واسعة وواثقة، ذلك أنه يُذكر له أنه عندما كان شيخًا للأزهر أصدر فتواه بجواز التعبد على المذهب الفقهي للشيعة الإمامية، وهو المذهب الجعفري، كسائر مذاهب أهل السنّة، وقال في هذا المعنى: "ينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله وما كانت شريعته

تابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، يجوز لمن ليس أهلا للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات".

ومن المعروف أنه في عهد الشيخ محمود شلتوت تم إصدار الموسوعة الفقهية معتمدة المذاهب الفقهية الإسلامية الثمانية: الحنفي، والشافعي، والمالكي، والحنبلي، والجعفري، والزيدي، والإباضي، والظاهري، لمع اسم الشيخ محمود شلتوت في مجال الفتوى والعلوم الإسلامية منذ مرحلة مبكرة، والحق أنه ظل محتفظا باللمعان حتى وفاته فجأة وهو شيخ للأزهر، وكان حين توفي ألمع علماء عصره بلا جدال، ويذكر له أنه لم يغفل قضية فقهية من قضايا عصره دون أن يصدر رأيه فيها، إنه كان مصدرا رفيعا من مصادر الفتوى في كثير من شؤون الفقه ومسائله. كان الشيخ محمود شلتوت في شبابه يضع نفسه بعلمه في صف أساتذته الكبار، حتى زاملهم مزاملة الكفء للكفء، وقد نال من التقدير العلمي المبكر ما توازى مع كفايته وشهرته بعد ذلك.

وقد مارس الشيخ محمود شلتوت الإمامة الحقيقية للمسلمين في أثناء قيامه على أمر الأزهر وكيلا وشيخا، وقد قام برحلات علمية إلى مختلف البلاد الإسلامية زائرا وداعيا إلى الائتلاف، فلمس من أحوال المسلمين ما دعاه إلى العمل على التأكيد على تقرير تدريس اللغات الأجنبية بالأزهر، ليبعث من طلابه مَنْ يصلحون لمخاطبة المسلمين في كل مكان، ومن البلاد التي زارها: إندونيسيا، والملايو، والفلبين، وهونج كونج.

حياته

ولد الشيخ محمود شلتوت بمنية بني منصور مركز إيتاي البارود بمحافظة البحيرة (1893)، وحفظ القرآن الكريم ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني (1906)، وكان معهد الإسكندرية في ذلك الوقت قد تطور وارتقى بحيث أصبح (من الناحية الإدارية والتعليمية والجامعية) بمثابة جامعة أزهرية موازية للأزهر في القاهرة، بادئا أول تجربة حقيقية في الجامعات الإقليمية في مصر، وهي التجربة التي أدعو الله سبحانه وتعالى أن يمد في عمري حتى أكمل دراستي عنها وأنشرها إن شاء الله، وفي هذا المعهد شهد الشيخ محمود شلتوت عهد الشيخ محمد شاكر شيخ علماء الإسكندرية بكل ما تميز به هذا العهد الزاهر، وكان في جميع سنواته أول الناجحين، ونال الشيخ

محمود شلتوت الشهادة العالمية النظامية (1918) وهو في الخامسة والعشرين من عمره. وفي العالمية كان أول الناجحين كما كان كذلك في سنى دراسته من قبل أيضا.

عين الشيخ محمود شلتوت مدرسا بمعهد الإسكندرية الديني في العام التالي مباشرة لتخرجه (1919). ولما قامت ثورة 1919 بدأ نشاط الشيخ محمود شلتوت الوطني في الظهور، وشارك في الثورة بإخلاص وحماسة، كما شارك في جمع التبرعات لأسر المعتقلين، وكانت الإسكندرية يومئذ بمثابة موطن اعتقال للقاهريين، كما كانت القاهرة محلا لاعتقال أبناء الأقاليم، لمع نشاط الشيخ محمود شلتوت العلمي في الإسكندرية، وبدأ يعرف طريقه إلى المجتمع والصحافة، وامتدّ نشاطه العلمي إلى كل ما يتصل بعلوم الدين من فقه وتفسير وحديث.

ولما عين الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخا للأزهر للمرة الأولى (1928) أحس الشيخ محمود شلتوت بأن هذا العصر هو عصره، وأن المنهج منهجه، فعمل بكل ما يملك على استيعاب فكر الشيخ محمد مصطفى المراغي والدعوة له، وأهله حضوره ونشاطه لأن ينقل في عهد مشيخة الشيخ محمد مصطفى المراغي للأزهر مدِّرسا في القسم العالي بالقاهرة، حيث تولى تدريس الفقه الإسلامي في أقسام التخصص التي أنشئت في ذلك الوقت، أي أنه كان في ذلك العصر المتفتح يشغل، وهو لايزال في شبابه، ما يُسمى في الجامعات الكبرى بوظيفة أستاذ الدراسات العليا.

أستاذية الفقه وأصوله ومقارنته

وقد اختاره الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي لتدريس أصول الفقه في القسم العالي بالأزهر، على الرغم من أن تدريس الأصول كان وقفا على العلماء الكبار القدامى، وكان الشيخ محمود شلتوت جديرا بما أسند إليه، وكان من تلاميذه بالقسم العالي كثيرون انبهروا بعلمه الراسخ، وشجاعته الفكرية، وقد كان من تلاميذه في هذه الفترة الأستاذ الأكبر الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود.

عمل الشيخ محمود شلتوت منذ عهد الشيخ محمد مصطفى المراغي الأول (1928-1929) كما ذكرنا أستاذا في قسم التخصص مدرسا للفقه الإسلامي، ولم تكن هذه هي كل علاقته بالشيخ محمد مصطفى المراغي وفكره، فقد عكف على دراسة آراء الشيخ محمد مصطفى المراغي في المذكرة التفصيلية الخاصة بقانون الأحوال الشخصية

وشؤون الأسرة، وهي المذكرة التي تضمنت من الآراء الفقهية ما لم يقف عند حدود المذاهب الأربعة، بل تعدت هذا الأفق إلى شتى الآراء في المذاهب المختلفة لكبار الفقهاء في الإسلام، وقد أثرت هذه المشاركة في فكره الفقهي تأثيرا واسع المدى وجعلته أقرب إلى التسامح المذهبي، ومنذ ذلك الحين أخذ الشيخ محمود شلتوت يكتب في الفقه الإسلامي بروح مختلفة عن الروح الشائعة، فلم يتقيد بالفقه الحنفي الذي درسه في الأزهر، واتخذه مذهبا له على حسب نظام التعليم الأزهري، ولم يقتصر على المذاهب الثلاثة الأخرى، بل جعل كل رأي إسلامي موضع النظر.

وهكذا درس الشيخ محمود شلتوت فقه زيد بن علي، وجعفر الصادق، وابن حزم، وابن تيمية، وتلميذه ابن القيم. وهكذا مرة ثانية فإنه على الرغم من أنه لم يكن من تلاميذ الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي المباشرين، فإنه كان، فيما ظهر من حياته، امتدادا ذكيا له كما بدا علما واعدًا في ميدان تطور وتطوير التشريع، وهكذا مرة ثالثة ومنذ مرحلة مبكرة، استقرت في الوجدان الأزهري والثقافي (وفي الذاكرة الصحفية والشعبية كذلك) صورة الشيخ محمود شلتوت على أنه من مؤيدي أفكار الشيخ محمد مصطفى المراغي ومنهجه في إصلاح الأزهر، ولم يكن هذا من فراغ فقد كان الشيخ محمود شلتوت قد أيد الشيخ محمد مصطفى المراغي بعدة مقالات نشرت في جريدة «السياسة» اليومية.

وعندما استقال الشيخ محمد مصطفى المراغي بعد المعارضة القوية لحركته الإصلاحية، كان من الطبيعي أن يغضب الشيخ محمود شلتوت بسبب إبعاد الشيخ محمد مصطفى المراغي عن مشيخة الأزهر، وأن يزداد غضبه حين يرى النظرة إلى الفقه الإسلامي لا تزال في حيزها الضيق، وهذا ما دفعه إلى المناداة في مقالاته بضرورة الالتزام بما نودى به من قبل، وإلى أن يقود حملة صادقة تطالب بتطوير تدريس الفقه، وكان من الطبيعي أن يضيق به الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدي الظواهر، وتصاعدت الأمور حتى فصل الشيخ محمود شلتوت من منصبه في عهد الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدي الظواهري، ضمن من فصلوا من كبار العلماء السبعين، فعمل بالمحاماة أمام المحاكم الشرعية، وسرعان ما حقق الشيخ محمود شلتوت ذاته في ممارسة المحاماة الشرعية، فضلا عما أتيح له من أن يدرس أحوال الأسرة دراسة ميدانية، حيث ألم بتفصيلات مسائل الزواج والطلاق والميراث والنفقة على طبيعتها الحية بين المتخاصمين، وراجع ما كتبه الفقهاء مراجعة مَنْ ينشد استقرار الأسرة الإسلامية في ضوء التشريع الصحيح.

ولما انتهت فترة الشيخ محمد الأحمدي الظواهري (1929 - 1935) وعاد الشيخ محمد مصطفى المراغي إلى المشيخة عاد الشيخ محمود شلتوت إلى العمل مدرسا بكلية الشريعة (فبراير 1935)، فاختار لنفسه أن يدرس مادة جديدة لم تكن مقررة من قبل، هي مادة الفقه المقارن، وفي ذلك الوقت المبكر كان ميدان بحوثه هو المقارنة على المذاهب الأربعة وحدها، وكان أول مَنْ بدأ تدريس الفقه المقارن في الأزهر، وقد أصدر مع الأستاذ محمد على السايس كتابا في الفقه المقارن. وقد ارتقى الشيخ شتوت في الوظائف حتى عين وكيلا لكلية الشريعة، ثم مفتشا بالمعاهد الدينية.

ارتباطه بحركة الإصلاح الأزهري

كان الشيخ محمود شلتوت، من قبل هذا في طليعة المنادين بالتجديد والإصلاح في الأزهر، ويعده مؤرخو هذه الحقبة ومعاصروها من ألمع الناشئين في مدرسة الشيخ محمد عبده، وذلك على الرغم من أنه لم يلتحق بالأزهر إلا بعد وفاة الأستاذ الإمام بعام، لكنه اتصل اتصالا مباشرًا باثنين من أنجب تلاميذ الإمام محمد عبده هما الشيخ الأكبر والمفتي الأكبر: شيخ الأزهر: الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي، والأستاذ الأكبر المفتي الشيخ عبد المجيد سليم. ويعد الشيخ محمود شلتوت في نظر الكثيرين من أبناء الأزهر بمثابة حامل راية الإصلاح والتجديد من بعدهما.

طالب الشيخ محمود شلتوت منذ مرحلة مبكرة بأن يعاد النظر في مناهج الأزهر وكتبه حتى تعبر تلك الكتب والمناهج عن النهضة الحديثة، وقد ظل الشيخ محمود شلتوت على ما عهد فيه من روح الثورة والرغبة في التقدم، حتى إنه يذكر له أنه كان واحدا من الثائرين على تباطؤ الشيخ محمد مصطفى المراغي نفسه في الإصلاح بعد عودته إلى الأزهر (1935)، وكان شلتوت، فيما يرويه أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي، عضوا فيما سمي بجماعة الشيخ عبد المجيد سليم (التي ضمت الدكتور محمد البهي، والشيخ محمد محمد المدني، والشيخ عبد العزيز عيسي)، وقد شنت هذه الجماعة حملة على الشيخ محمد مصطفى المراغي لتباطئه في الإصلاح، وقد بدأ الشيخ محمود شلتوت الدعوة إلى الإصلاح في جماعة كبار العلماء بمحاضرة صريحة ألقاها في كلية الشريعة تحت عنوان «السياسة العلمية التوجيهية للأزهر» أثنى فيها على المذكرة الإصلاحية ولخص ما قرره أستاذه الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي من ضروب الإصلاح، وانتهى إلى أن أمدا طويلا قد مر على الأستاذ الأكبر دون أن يأخذ بما يرى:

• "فلم تزل كتب الأزهر هي الكتب المعقدة التي تنحو في التأليف منحي عسيرا لا يسهل على القارئ اجتيازه إلا بشرح الألفاظ، وإرجاع الضمائر، وشغل الأفهام بصحيح العبارة، وكأنها هدف لذاتها دون ما تقصد إليه من معنى ضاع في ضباب الصياغة".

•"ولم نزل نشغل أنفسنا بالفروض الفقهية المستحيلة كما اشتغل بها فقهاء العصر المملوكي".

•"ولم تزل الإسرائيليات ذائعة تملأ كتب التفسير التي تدرس بالأزهر ".

•"ولم يزل الطلاب يمتحنون في المقروء فحسب، دون أن يتموا المنهج، وهم لا يقطعون من الزمن الدراسي في العام الطويل غير أربعة أشهر إن لم تقل!".

" وإن ذلك كله يدل على أن الإصلاح المدون في مذكرة الأستاذ الأكبر قد تجمد ولم ينطلق".

وهكذا واجه الشيخ محمود شلتوت كبار المسؤولين الأزهريين مواجهة خطيرة بعد أن أذاع مذكرته وطبعها وبعث بها إلى الجرائد والصحف، فنقلت خلاصتها، واضطر بعض أنصار الشيخ محمد مصطفى المراغي أن يهاجموها، وأن يقولوا إن خطوات الإصلاح تسير بنجاح، ومع مطلع الخمسينيات عين الشيخ محمود شلتوت مراقبا عاما للبحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر (1950)، وهو المنصب الموازي لمنصب شبيه تماما استحدث في وزارة المعارف، وكان نواة لوزارة الثقافة فيما بعد، ويذكر للشيخ الشيخ محمود شلتوت أنه وضع أول خطة منهجية لعمل هذه المراقبة بما يخدم علاقات مصر الثقافية مع العالمين العربي والإسلامي وغيرهما.

في عهد الثورة

بعد الثورة بفترة عين الشيخ محمود شلتوت مستشارا في المؤتمر الإسلامي الذي كان الرئيس أنور السادات رئيسا له. ومن خلال هذا الموقع أتيحت له الفرصة لأن يشارك في اجتماعات أسبوعية مع علماء من بلاد الإسلام، وأن يتعامل تعاملا مباشرا

وتنفيذيا مع بعض قادة الثورة ومسؤولي العهد الجديد، وقد عين الشيخ محمود شلتوت وكيلا للجامع الأزهر في عهد مشيخة الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج، وكانت بعض الصحف المتصلة بالحركات والتجمعات الإسلامية ترى الوضع مقلوبا، وترى الشيخ محمود شلتوت أولى بالمشيخة من الدكتور عبد الرحمن تاج، ومن الطريف أن الأستاذ الأكبر الدكتور تاج نفسه عين شيخا خلفا للأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين حين رأت الثورة ألا يكون شيخ الأزهر نفسه فوق السن القانونية للتقاعد، وهكذا أتيح للشيخ عبد الرحمن تاج المولود (1896) أن يخلف مباشرة من كان يكبره بعقدين من الزمان، فقد كان الشيخ محمد الخضر حسين من مواليد 1877.

جاء الشيخ محمود شلتوت إلى المشيخة في 13 من أكتوبر 1958، وقد صدر في عهده قانون تطوير الأزهر المعروف بالقانون رقم 103 لسنة 1961 بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التي يشملها، وبعد صدور هذا القانون أصبح الشيخ محمود شلتوت أول حامل للقب الإمام الأكبر، بناء على نص القانون الجديد، كما أصبح عضوا ورئيسا لمجمع البحوث الإسلامية، وشاءت الأقدار ألا يحضر افتتاح جلسات ذلك المجمع بسبب وفاته المفاجئة، وإلى الشيخ محمود شلتوت يرجع الفضل في نشر تعليم الفتاة في الأزهر، وهو الذي بدأ سياسة إنشاء معاهد الفتيات الأزهرية، وكلية البنات الإسلامية، أو فلنقل من باب الاحتياط وحفظ حقوق الآخرين: إن ذلك قد تم بتوجيهه ومسعاه، وقد دب أكثر من خلاف بينه وبين الدكتور محمد البهي وزير الأوقاف وشؤون الأزهر (وقد كان تلميذا له على نحو ما روى هو نفسه في مذكراته التي تدارسناها في كتابنا: العيش في العاصفة) في تطبيق القانون الجديد للأزهر، وكان هذا أمر طبيعيا ومتوقعاً.

فكره الفقهي

كان الشيخ محمود شلتوت فقيها مجتهدا صاحب رأي، وكانت له فتاوى جريئة في المعاملات المالية لم تكن قد صيغت بهذا

ننتقل من نشاط الشيخ محمود شلتوت التعليمي والتنفيذي إلى نشاطه وفكره الفقهي، ومن الحقّ أن نبدأ فنقول: إنه كان محظوظا كما كان أيضا مستحقا للحظ. ففي الثلاثينيات كان من حظ الشيخ محمود شلتوت أن اتصل مبكرا بالمجتمع العلمي الدولي، حيث اختير مع الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الأزهر ليمثلا الأزهر سنة 1937 في مؤتمر لاهاي العالمي لدراسة القانون الدولي المقارن، وهو المؤتمر الذي حضره عدد من أبرز الفقهاء والأصوليين في جميع أنحاء العالم، ليتدارسوا ما يحبذونه من الأفكار القانونية، ومما يذكر أن الأستاذ الشيخ أحمد إبراهيم، وكان أستاذا بكلية الحقوق، كان هو الذي مثل الجامعة المصرية في هذا المؤتمر. وقد قدم الشيخ محمود شلتوت في هذا المؤتمر بحثا ضافيا تحت عنوان «المسؤولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية» موضحا معني المسؤولية في الإسلام، وشارحا نصوص الفقهاء في الضمان والتعويض، ومستشهدا بنصوص القرآن والسنّة في تحديد المسؤولية، وقد امتد بها الإسلام بحيث تشمل:

الوضوح لدي الفقهاء السابقين، وكان له رأيه محدد في الربا والسندات والأسهم

- مسؤولية الطبيب عن مريضه، ومسؤولية مَنْ يقصر عن إغاثة الملهوف.

– ومسؤولية صاحب الحيوان حين يتلف زرعا مملوكا لغير صاحبه.

– ومسؤولية المسلم أمام إتلاف محترزات غيره التي يحرّمها الإسلام كالخمر ولحم الخنزير، موضحا المراد من قول الفقهاء: حقوق الله، وحقوق العباد.

– المسؤولية الناشئة عن مخالفة العقد، والاستيلاء القهري مما عُرف في الفقه باسم الغصب

– تحقق السببية بين الفعل والضرر، مقسما التسبب إلى إيجابي وسلبي، والتسبب الإيجابي واضح معروف، أما التسبب السلبي فقد فسر الشيخ غامضه بأمثلة ونصوص ذات إقناع.

– المسؤولية الجنائية، والحدود في الإسلام مقدمًا حديثا جمع من نصوص الفقهاء ما كان غائبا عن الكثيرين حتى من ذوي التخصص أنفسهم.

أوصي الشيخ محمود شلتوت في نهاية بحثه بحرية الفقهاء: "إن الشريعة الإسلامية لم تقيد الفقهاء، بعد أصولها الكلية، بخطة معينة في البحث، وإنما فوضت لهم الرأي والاعتماد على ما يقدرون من مصالح وواجبات في العصور المختلفة والبلدان المتباينة".

وكانت نتيجة الاقتناع بهذا البحث أن قرر المؤتمر بإجماع أعضائه اعتبار الشريعة الإسلامية مصدرا من مصادر التشريع الحديث، مع الاعتراف بصلاحيتها للتطور، كما قرر المؤتمر أن تكون اللغة العربية ـ لغة الشريعة الإسلامية ـ إحدى لغات المؤتمر في دوراته المقبلة، وأن يدعى إليه أكبر عدد من علماء الإسلام على اختلاف المذاهب والأقاليم، ومع مطلع الأربعينيات اختير الشيخ محمود شلتوت عضوا في جماعة كبار العلماء (1941) برسالة عن "المسؤولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية" وهي الرسالة التي كانت نواتها من قبل بمثابة موضوع إسهامه من قبل في مؤتمر القانون الدولي، وقد نال الشيخ محمود شلتوت هذه العضوية وهو في الثامنة والأربعين من عمره، سابقا بذلك كثيرا من علماء عصره الذين لم ينشغلوا بنيل هذه العضوية إلا بعدها بسنوات، ومن هؤلاء على سبيل المثال الأستاذ محمد الخضر حسين الذي نالها بعده بسنوات.

نماذج من فقهه الميسر

كان الشيخ محمود شلتوت فقيها مجتهدا صاحب رأي، وكانت له فتاوى جريئة في المعاملات المالية لم تكن قد صيغت بهذا الوضوح لدي الفقهاء السابقين، وكان له رأيه محدد في الربا والسندات والأسهم، وعلى سبيل المثال فقد أفتى بجواز الأرباح المحددة بنسب للأسهم في الشركات التعاونية، وقال: "إن هذه الشركات تعد نوعا جديدا من الشركة أحدثه أهل التفكير في طرق الاقتصاد والاستثمار، وليس فيه ظلم لأحد، أو استغلال لحاجة أحد".

وهكذا أباح الشيخ محمود شلتوت الأرباح المحددة التي تدفعها مصلحة البريد لأصحاب الأموال المودعة لديها في صناديق التوفير، ورأي أن هذا الربح لا يعد من الربا المحرم: "فقد قصد بهذا الإيداع حفظ مال المودع من الضياع، وتعويد نفسه على التوفير والاقتصاد من ناحية، ومن ناحية أخرى قصد به إمداد المصلحة بزيادة رأس مالها ليتسع نطاق معاملاتها وتكثر أرباحها فينتفع العمال والموظفون، وتنتفع الحكومة بفائض الأرباح".

وقد بين الشيخ محمود شلتوت أن الربا المحرم "هو الربا الذي حُدد بالعرف الذي نزل فيه القرآن، بالدين يكون لرجل على آخر فيطالبه به عند حلول أجله فيقول له الآخر: أخر دينك وأزيدك على مالك، فيفعلان ذلك (وهو الربا أضعافا مضاعفة)، وهذا الصنيع لا يجري عادة إلا بين معدم غير واجد، وموسر يستغل حاجات الناس

غير مكترث بشيء من معاني الرحمة المشروعة، فنهاهم الله عنه في الإسلام، وهذا النوع من الربا ينطوي على ظلم عظيم، واستغلال فاحش لحاجة الفقير".

وكان الشيخ محمود شلتوت يقول إن الفقهاء السابقين (عليه) قد توسعوا كثيرا فيما يتناول الربا، ورأي كثير منهم أن الحرمة فيما يحرّمون تتناول المتعاقدين معا المقترض والمقرض، وإني أرى ـ الضمير للشيخ الشيخ محمود شلتوت ـ أن ضرورة المقترض وحاجته مما يرفع عنه إثم التعامل، لأنه مضطر أو في حكم المضطر، وقد صرح بذلك بعض الفقهاء فقالوا: «يجوز للمحتاج الاستقراض بالربح، وإذا كان للأفراد ضرورة أو حاجة تبيح لهم هذه المعاملة فإن للأمة ضرورة أو حاجة كثيرا ما تدعو إلى الاقتراض بالربح، والإسلام الذي يبني أحكامه على قاعدة «اليسر ودفع الضرر» يعطي للأمة في شخص أفرادها وهيئاتها هذا الحق، ويبيح لها أن تقترض بالربح تحقيقا لتلك المصالح، «ولا يكون ذلك إلا بالقدر المحتاج إليه، ولدفع الضرورة والحاجة، ولا يكون قرضا إلا من جهة لا تضمر استغلالنا».

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ محمود شلتوت كان يوافق في رأيه بعض أسلافه ومنهم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ عبد الوهاب خلاف، لكن الشيخ محمد أبو زهرة كان يعارضه في رأيه، وكان يحمل عليه حملة شعواء، وكان الشيخ محمود شلتوت يفرق في الحكم الشرعي بين الأسهم والسندات، حيث كان يرى أن الأسهم من «الشركات» التي أباحها الإسلام باسم المضاربة، وهي التي تتبع الأسهم فيها ربح الشركة وخسارتها، أما السندات وهي القرض بفائدة معينة فإنها لا تتبع الربح والخسارة، فالإسلام لا يبيحها إلا حيث دعت إليها الضرورة الواضحة التي تفوق أضرارها.

دوره في المجمعين العلميين الكبيرين

اختير الشيخ محمود شلتوت لعضوية مجمع اللغة العربية ضمن عشرة من الأعضاء الجدد المعينين (1946)، وكان من أصغر الأعضاء سنا. وكان له جهد وافر في نشاط مجمع اللغة العربية مثل: مشاركته في لجنة القانون والاقتصاد، ولجنة للنظر في المصطلحات المتشابهة التي تستعمل في أكثر من علم، ولجنة لدراسة النحت، ولجنة ألفاظ الحضارة، ولجنة الأدب، ولجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم، كما ألقي عدة بحوث وكلمات منها كلمة قيمة في تأبين الشيخ عبد الوهاب خلاف، وفي هيئة كبار العلماء بدأ الشيخ محمود شلتوت كفاحه (وعضويته أيضا) بتقديم اقتراح جوهري يبعث في هذه الجماعة فيضا من النشاط العقلي والحركة العلمية، ويحدد لها مناهج

من العمل الدائب المستمر، وقد لخص الدكتور محمد رجب البيومي خطة الشيخ محمود شلتوت لبث الروح في جماعة كبار العلماء فيما يلي:

"أن يكون لجماعة كبار العلماء مكتب علمي دائم، وأن يجعل لهذا المكتب مكان معين معروف، شأن كل هيئة رسمية من الهيئات التي تعمل لأغراض خاصة".

أما مهمة هذا المكتب بعد إنشائه فهي ما يلي:

(أ) معرفة ما تُهاجم به الأديان عامة، والدين الإسلامي في عصرنا الحاضر، والرد عليه ردا كافيا مقنعا بأسلوب ملائم لطريقة البحث الحديث.

(ب) بحث ما يحصل فيه الاختلاف بين علماء العصر من جهة أنه بدعة يجب تركها أو ليس كذلك، ووضع الأصول الكفيلة بتمييز ما هو بدعة مما ليس بدعة، والعمل على نشر ذلك ليرجع إليه الناس.

(جـ) العمل على وضع مؤلف يحتوي على بيان ما في الكتب المتداولة من الإسرائيليات التي دُست على التفسير، وأخذها الناس على أنها من معاني القرآن، والتي لا يدل على صحتها نقل، ولا يؤيدها عقل.

(د) إصدار الفتاوى في الاستفتاءات التي ترد من المسلمين في جميع الأقطار، إلى مشيخة الجامع الأزهر.

(هـ) بحث المعاملات التي جدت وتجد في العصر الحاضر من جهة حكم الشريعة فيها، حتى يظهر للناس سعة صدر الشريعة وقدرتها على تلبية حاجات الناس في مختلف العصور.

(و) تنظيم طرق الوعظ والإرشاد، والاتصال بالهيئات المعدة لذلك، كوزارة الشؤون الاجتماعية، والجمعيات الإسلامية في مختلف الأقطار.

(ز) التنقيب عن الكتب المفيدة في مختلف العلوم، والعمل على إحيائها وإخراجها إخراجا علميا متقنا.

(حـ) الإشراف على مجلة الأزهر، والعمل على توجيهها في طريق تخدم به الحركة الفكرية الإسلامية، وتبرز به ثقافات الكليات الثلاث.

ويروي الدكتور محمد رجب البيومي أن لجنة برئاسة الشيخ عبد المجيد سليم قد تشكلت لدراسة اقتراح الشيخ شلتوت، لكن الدراسة لم تنته إلى خطوات إيجابية. وظل الشيخ محمود شلتوت حريصا على تنفيذ أفكاره حتى أصبح شيخا للأزهر، فعمل على إنشاء ما سمي بمجمع البحوث الإسلامية، وهو الصورة التي آلت إليها جماعة كبار العلماء، ليعطي الصورة القوية التي أرادها لهيئة كبار العلماء، فضلا عن توسيع عضوية المجمع، كي تشمل غير الأزهريين من أعلام الدين في العالم الإسلامي جميعه. ويبدو لي، والله أعلم، أن الشيخ شلتوتا استحضر في ذهنه صورة مجمع اللغة العربية الذي كان عضوا فيه منذ 1946 حين أنجز تحويل جماعة كبار العلماء إلى مجمع للبحوث الإسلامية.

فكرة التقريب

وقد ظل الشيخ محمود شلتوت يدعو إلى الحرية المذهبية الصحيحة المستقيمة على نهج الإسلام، وكان يرفض العصبية الضيقة، والتعصب الأعمى لمذاهب فقهية معينة، وكان الشيخ محمود شلتوت يتطلع إلى تحقيق هذه الوحدة من خلال فكرة التقريب بين المذاهب، وكان له نشاطه المتصل والمشهور في «جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية»، وكان يؤمن أن هذه الدعوة هي «دعوة التوحيد والوحدة، هي دعوة الإسلام والسلام وقد كان يقول : «لقد آمنت بفكرة التقريب كمنهج قويم، وأسهمت منذ أول يوم في جماعتها، وفي وجوه نشاط دارها بأمور كثيرة»، ومن الجدير بالذكر أن جماعة ـ تقريب بين المذاهب ـ كانت قد تألفت برياسة الزعيم الوطني والسياسي المخضرم محمد على علوبة باشا، وبتأييد الأستاذ الأكبر الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي، والأستاذ الأكبر الإمام الشيخ عبد المجيد سليم، والأستاذ الأكبر الإمام الشيخ مصطفي عبد الرازق، وقد دعت في برنامجها إلى نبذ الخلاف وتلافي الشقاق، وأكدت أن القرآن الكريم والسنّة المطهرة هما أساس الدين، فبهما تقررت قواعده، وإليهما يرجع المسلمون في كل شأن من شؤون الحياة.

وكان من نصيب الشيخ محمود شلتوت أن يقوم بالدعوة إلى الجماعة محاضرا وكاتبا، وخطيبا، ومع ما عرف عن الشيخ من ميل إلى التقريب، فقد تعرض لهجوم الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفي صبري شيخ الإسلام في الخلافة العثمانية عن فتواه فيما يتعلق بالمسيح، وكانت فتوى الشيخ محمود شلتوت فيما يتعلق بحكم مَنْ أنكر أن عيسى قد رُفع بجسمه إلى السماء، وأنه فيها حي إلى الآن، وأنه سينزل منها آخر الزمان، وكان الشيخ محمود شلتوت يرى أن مَنْ أنكر هذا لا يكون منكرا لما ثبت بالدليل القطعي، فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه، ولا ينبغي أن يحكم عليه بالردة، بل هو مسلم مؤمن ولا شبهة في إيمانه عند الله، أما الشيخ مصطفي صبري فقال: إن هذه

الفتوى كتبت بروح قاديانية، وأن المسلمين في الهند سيحزنون لمَنْ ينصر القاديانية عليهم.

تفسيره للقرآن الكريم

يأتي تفسير الشيخ محمود شلتوت للقرآن الكريم في مقدمة الآثار العلمية للشيخ، وهو تفسير من نوع مختلف عن كتب التفسير الكلاسيكية إذ لم يسلك الشيخ فيه مسلك التفاسير التي تفسر القرآن آية آية، وإنما حرص على أن يكون تفسيره تفسيرا عاما يلجأ إلى إبراز جوهر كل سورة وما تهدف إليه، مفصلا القول في بيان أبرز القضايا التي اشتملت عليها السورة، ومن الطريف أن الشيخ محمود شلتوت نشر تفسيره لكتاب الله من خلال جماعة التقريب، حيث نشر التفسير في حلقات متوالية على صفحات مجلة «رسالة الإسلام» وهي المجلة التي كانت لسان حال جماعة التقريب.

حظيت مؤلفات الشيخ محمود شلتوت بالانتشار الواسع في شتى أنحاء العالم العربي والإسلامي، ولا تزال حتى الآن يعاد طبعها على الرغم من إهمال الناشرين لقيمتها، ويكفي أن نذكر بعضها وقد طبع للمرة السادسة عشرة

وقد حرص الشيخ محمود شلتوت في تفسيره للقرآن على أن يكون تفسيره مسايرا لجماعة التقريب في طرح الخلافات المذهبية، التي حملت حملا باطلا على كتاب الله، بأن يكون التفسير تفسير المسلمين جميعا، لا يتعصب لمذهب فقهي، ولا يميل إلى لون خاص من ألوان السياسة أو العقيدة الكلامية، كما ينجو من سطوات العلوم اللسانية من نحو وبلاغة، والعقلية من فلسفة ومنطق، ليجيء وضيء الدلالة، وقد اختص مشكلات عصره بمزيد من التحليل، دل على إيمانه بضرورة نزول الفقهاء والعلماء إلى الجمهور». وقد جمعت الفصول التي كتبها الشيخ في التفسير بعد فترة في مجلد واحد بعنوان «تفسير القرآن الكريم» شمل ثلث القرآن فقط أي الأجزاء العشرة من القرآن الكريم فقط.

وقد دعا الشيخ محمود شلتوت في تفسيره للقرآن الكريم إلى ضرورة تجنب أمرين في التفسير وقع فيهما الكثيرون، وكان ينبغي أن يظل القرآن بعيدا عنهما:

– الأمر الأول هو استخدام آيات القرآن لتأييد الفرق والمذاهب في المجتمع الإسلامي، والتنافس في العصبيات السياسية والمذهبية، حيث امتدت توجهات أصحاب الفرق المختلفة لتصبغ تفسير آيات القرآن وتأويلها بما يتوافق مع مذاهبهم،

أو يخرجونها عن بيانها الواضح لكيلا تصلح لمذاهب خصومهم، وبذلك جعلوا القرآن تابعا بعد أن كان متبوعا، ومحكوما عليه بعد أن كان حاكما.

– أما الأمر الثاني الذي كان الشيخ محمود شلتوت يطالب بالنأي عنه فهو استنباط العلوم الكونية والمعارف النظرية الحديثة من القرآن، وكان يرى أن هذا اتجاه خاطئ في تفسير القرآن لعدة أسباب.

أولها: أن القرآن أنزله الله ليكون كتاب هداية للناس، وليس كتابا يتحدث إليهم عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف.

وثانيها: أن هذا الاتجاه يحمل أصحابه والمغرمين به على تأويل القرآن تأويلا متكلفا يتنافى مع الإعجاز ولا يسيغه الذوق السليم.

وثالثها: أنه يعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات، ولا القرار، ولا الرأي الأخير، فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غدا من الخرافات، فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة لعرضناه للتقلب معها، وتحمل تبعات الخطأ فيها، ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفا حرجا في الدفاع عنه، وكان الشيخ محمود شلتوت يشير في هذا الصدد إلى حقيقة مهمة عبر عنها بقوله: «حسبنا أن القرآن لم يصادم ـ ولن يصادم ـ حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول».

آثاره العلمية

حظيت مؤلفات الشيخ محمود شلتوت بالانتشار الواسع في شتى أنحاء العالم العربي والإسلامي، ولا تزال حتى الآن يعاد طبعها على الرغم من إهمال الناشرين لقيمتها، ويكفي أن نذكر بعضها وقد طبع للمرة السادسة عشرة. ومن أشهر هذه المؤلفات: «الإسلام عقيدة وشريعة»، و«من توجيهات الإسلام» وهو نفسه الكتاب الذي كان عنوانه الفرعي «تصحيح بعض المفاهيم الدينية.. توضيح موقف الإسلام من بعض المشاكل.. الأخلاق الإسلامية، ضروب من العبادات»، ومن حق القارئ علينا أن نعرفه بأشهر كتب الشيخ محمود شلتوت بعد أن تحدثنا فيما سبق عن تفسيره للقرآن الكريم:

-فأما أشهر كتبه على الإطلاق فهو «الإسلام عقيدة وشريعة» وفيه يتحدث الشيخ محمود شلتوت عن أصول الإسلام، في العقيدة والتشريع، فيتكلم عن ذات الله

وصفاته، وعن القضاء والقدر وعالم الغيب، والجبر والاختيار، ثم عن طريق ثبوت العقيدة في كتاب الله، وعن السنّة ومكانتها في الإسلام عقيدة وتشريعا، وعن الإجماع وثبوت العقيدة، وقد جاء بالجديد فيما أفاض فيه من حديث الأسرة زواجا وطلاقا ونسلا وميراثا، ومن حديث المال والحدود والقصاص، والمسؤولية الجنائية والمدنية، ومن حديث أسس الدولة في الإسلام، ومكانة الشورى وأولي الأمر، والتكافل الاجتماعي، والعلاقات الدولية.

أما كتابه «الفتاوى» فيتضمن مجموعة كبيرة من فتاويه تتميز بطابع خاص، هو الإحساس القوي بالحياة اليومية وبأحداثها، والعمق في فهم الإسلام وتطبيق مبادئه.

أما كتابه «من توجيهات الإسلام» فقد عالج فيه بعض البحوث الإسلامية التي رأي أن يتناولها بتفصيل وتبسيط حتى تصل إلى كل قارئ.

وللشيخ الشيخ محمود شلتوت بالإضافة إلى هذه الكتب المشهورة عدد من المؤلفات والرسائل والمحاضرات في علوم الشريعة:

– فقه القرآن والسنّة

– يسألون

– حكم الشريعة في استبدال النقد بالهدي

– فصول شرعية اجتماعية

– حكم الشريعة الإسلامية في تنظيم النسل

– الإسلام والوجود الدولي للمسلمين

– القرآن والقتال

– تنظيم العلاقات الدولية في الإسلام

وله من المؤلفات في التعريف بالإسلام:

– «هذا هو الإسلام».

– «عنصر الخلود في الإسلام».

– «الدعوة المحمدية».

– «المقارنة بين المذاهب».

وله من المؤلفات في القضايا الاجتماعية:

– «القرآن والتكافل الاجتماعي».

– «منهج القرآن في بناء المجتمع».

– «القرآن والمرأة».

– «أحاديث الصباح».

وله أيضا بحوث أخرى أهمها:

– «المسؤولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية» وهو البحث الذي نال به عضوية جماعة كبار العلماء.

– «الإسلام والعلاقات الدولية في السلم والحرب».

وبالإضافة إلى هذا كله فإن للشيخ محمود شلتوت مجموعة من الأحاديث الإذاعية لا تزال تذاع حتى الآن، وقد تميز الشيخ محمود شلتوت في أحاديثه الإذاعية بالبيان الناصع، والقدرة على تبسيط الأفكار، وتناول الفلسفات تناولا سهلا حبب الناس في الاستماع إليه بصوته الجهوري المميز، ودفعهم إلى قراءة آثاره الفكرية.

نشاطه في الحياة الثقافية

يمكن لنا على سبيل الإجمال أن نقول إنه كان للشيخ محمود شلتوت نشاط واسع ومؤثر في الحياة الثقافية الدينية وقد شمل نشاطه المحاضرات التي كان يلقيها في المنتديات العامة، والأحاديث الإذاعية، والمقالات الكثيرة في الصحف والمجلات، وكانت محاضراته ومقالاته تشمل مختلف النواحي الدينية والاجتماعية. وقد كان الشيخ محمود شلتوت محل تقدير في العالم الإسلامي كله، وزار عددا من البلاد الإسلامية، ومنحته عدة دول الدكتوراه الفخرية، وأوسمة الشرف تقديرا لعلمه، وفضله، واعترافا بمنزلته الرفيعة، ومكانته السامية.

ويروى أن الرئيس الفلبيني وضع طائرته الخاصة وياوره الخاص تحت تصرف الشيخ محمود شلتوت طوال رحلة الشيخ إلى الفلبين أما الرئيس الجزائري أحمد بن بيلا فقد أرسل إليه مندوبا يطمئن على صحته عندما مرض وزاره في منزله كما زاره أيضًا الرئيس العراقي عبد السلام عارف. ومنحته أربع جامعات في أربع دول درجة الدكتوراه الفخرية، ومنحته أكاديمية شيلى درجة الزمالة الفخرية، وأهدى له رئيس الكاميرون قلادة خاصة.

الشيخ في مرآة عصره

ونأتي إلى الجانب الذي صنعته التصورات والكتابات الصحفية عن الشيخ الجليل، وهو جانب لابد من مطالعة نموذج له لأنه يمثل نموذجًا لما تتطلبه الصحافة من أمثال الشيخ وطبقته من الفتاوى، تروي الأستاذة سناء البيسي أن الشيخ شلتوتا كان يثور على أصحاب سرادقات المآتم الذين يضعون الميكروفونات المتعددة لتجسيم صوت المقرئ بكيفية تثير أعصاب الأهالي، وتحرم المريض من السكون، والمتعب من الراحة، والطالب من استذكار دروسه، ولما قيل له: لماذا لا تكتب مقالا تهاجم فيه هذه العادات المزعجة؟ قال: «نحن الآن في عهد ملك طاغية، وحكومة مستبدة، فلو ظهر مثل هذا المقال فسوف تخرج صحف الحزب الحاكم لتقول: إن الشيخ محمود شلتوت يمنع تلاوة القرآن! ولا يبعد أن يصدق الناس ذلك، وقد أوصانا الرسول صلى الله عليه وسلم بأن نداري سفهاءنا، لا أن نقاتلهم!». ثم عاود الشيخ القول: «إني لأرثي للأموات أكثر من رثائي للأحياء، فما أحسب أحدا من الذين تزعجهم هذه الميكروفونات يقابل هذا الإزعاج بالترحم على المرحوم!».

كما تروى أنه "عندما خرج أذناب الملك فاروق على الناس بقصة نسبه الشريف المزعوم عن طريق أمه نازلي، قيل للشيخ شلتوت: كيف يسكت السادة العلماء وكبار علماء الدين عن هذه الكذبة الضخمة؟ فقال: «إن للدين ربا يحميه من الإفك والأفاكين، وقد رأينا في التاريخ حكاما ادعوا الألوهية، فذهبت ريحهم، ولن يبعد على فاروق أن يدعي الألوهية إذا طال به العهد، ولن يطول عهد رجل يفتري على الله كذبا»، ولم يطل العهد بفاروق بعدها، وكأنما كان فضيلته يقرأ سطور الغيب !".

وتروي سناء البيسي أيضا: "كانت فتوى الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت مفاجأة مفرحة للمسلمين في مصر والعالم عندما أفتى ليس بإتاحة الغناء والموسيقي بكل

ألوانها، ولكن بالدعوة إلى تعلمها ومعرفة أصولها، فالغناء والموسيقي الأصل فيهما الحل، والحرمة عارضة، وحب اللذة: غريزة فطرية في الإنسان، والشرع ينظمها دون قمع ولا إفراط، وجميع ما قيل بشأن التحريم ضعيف، أو يتحدث عن توظيف الغناء والعزف في المحرمات، وأضاف الشيخ محمود شلتوت في فتواه أنه قد نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عن كثير من الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء أنهم كانوا يسمعون ويحضرون مجالس السماع البريئة من المجون والمحرمات، وكان الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الأزهر في القرن الثالث عشر الهجري ذا ولع شديد بالسماع، وعلى معرفة بأصوله، ومن كلماته في بعض مؤلفاته: «مَنْ لم يتأثر برقيق الأشعار، تتلى بلسان الأوتار، على شطوط الأنهار، في ظلال الأشجار، فذلك جلف الطباع حمار!».

حياته الشخصية

عاش الشيخ محمود شلتوت حياة شخصية وعائلية أقرب إلى المثالية، كان نجما لامعا، وإنسانا عظيم في الوقت نفسه، وقد ظل حب الخير متمكنا من نفسه طيلة حياته، قضي الشيخ محمود شلتوت معظم حياته يسكن في شقة بالدور الثالث من عمارة معروفة في شارع إسماعيل الفلكي بحي الظاهر، وفي أخريات حياته انتقل (1958) إلى بيت خاص به في مصر الجديدة، وقد ترك أربعة أنجال: إيهاب الضابط، والمهندس سعيد، وخبير البترول أحمد، وجلال موجه العلوم بالأزهر، وأربع بنات: نزيهة، وحكمت، وفوزية، وفكرية.. ورزق بأربعين حفيدا».

عانى الشيخ محمود شلتوت متاعب متعددة ومتوقعة طيلة توليه المشيخة وقد وصلت الأمور إلى حد أنه قدم استقالته في 6 من أغسطس 1963، وقد ذيل استقالته بأنه لن يقبل على دينه وكرامته السكوت على تضييع أمانة الأزهر مطالبا بإعفائه منها: ".. وليس أمامي إلا أن أضع استقالتي من مشيخة الأزهر بين أيديكم بعد أن حيل بيني وبين القيام بأمانتها، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وبالمواكبة لهذا أصيب الشيخ محمود شلتوت من جراء ممارسات السياسة القاسية والعمل الشاق بالشلل في نصفه الأيسر، وابتعد عن ممارسة منصبه. ولما بدأ رجال الحكم يشعرون بالحرج أمام الزائرين الأجانب الذين يلحون في طلب زيارته، أشاعوا أنه اعتزل الحضور للأزهر بسبب مرضه، فما كان من الشيخ الثائر إلا الإعلان عن سفره إلى قطاع غزة بالسيارة الجيب، وقد حرص على أن يترك السيارة ليسير على قدميه ليتفقد أحوال أهلها. "ولم تمض شهور أربعة بعد هذه الاستقالة حتى دخل الشيخ

محمود شلتوت مستشفى الجمعية الخيرية بالعجوزة لإجراء إحدى الجراحات، ونجحت العملية، ولم يكن الشيخ مرحا في يوم من الأيام أكثر منه في يومه الأخير بعد الإفاقة من البنج، فقد ظل يداعب أحفاده، وقبل أن تصعد روحه إلى بارئها بدقائق كان حديثه إلى زواره عن الإسراء والمعراج.. ثم توقف فجأة: أزمة قلبية طارئة".
ويبدو من هذا الوصف الذي أوردته مجلة «نصف الدنيا» نقلا عن عائلة الشيخ محمود شلتوت أنه أصيب بانصمام رئوي وليس بأزمة قلبية، وقد أقام له مجمع اللغة العربية حفل تأبين مهيب تولى تأبينه فيه عضوان من أعضاء المجمع.

د. محمد الجوادي

كاتب مصري